واقع صناعة الخطاب السياسي عند جمهور حراك الحسيمة

دراسة في التفاعلات الخطابية

أ. حسين البعطاوي

طالب باحث

جامعة السلطان مولاي سليمان

المغرب

البريد الإلكتروني: etudient.houssine.elbouataoui@gmail.com

الاستلام	2018/10/7	المراجعة	2018/11/15	النشر	2018/12/31

الملخص:

تحاول هذه الدراسة الوقوف على أهم الأشكال الخطابية التي اتخذها جمهور حراك الحسيمة السياسي مطية، لتحقيق مطالبهم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، متخذين من سلطة الإعلام الجديدة ومن الساحات العمومية فضاءات بلاغية للتأثير والإقناع. كما تعرض الدراسة أيضا لأهم الانزلاقات الخطابية التي حكمت المشهد السياسي خلال هذه الفترة، موزعة على انزلاقات مؤسساتية، متمثلة في خطابات القادة السياسيين، والمؤسسات الدينية، وخطابات الجماهير أنفسهم.

الكلمات المفاتيح:

الخطاب السياسي، الأشكال الخطابية، التأثير، الإقناع، الحجج، الشعارات، حراك الحسيمة، الانزلاقات الخطابية، المغالطات، سلطة الإعلام.

The reality of the political discourse industry at al Hoceima movement

Study in rhetorical interactions

Houssine el bouataoui

Student researcher

University sultan moulay sulaiman

Morocco

Email: etudient.houssine.elbouataoui@gmail.com

Received	7/10/2018	Revised	15/11/2018	Published	31/12/2018

Abstract:

This study attempts to identify the most important the forms of rhetoric adopted by the political crowd of A Hoceima's political movement, are used to achieve their social political, economic, and cultural demands. They take the authority of the new media and the public spaces into rhetorical spaces of influence and persuasion, and the most important rhetorical slippages that dominated the political scene during this period, in the speeches of political leaders and religious institutions and the speeches of the masses themselves.

Keywords:

Political discourse, rhetoric influence, persuasion, arguments, slogans, Al Hoceima movement, rhetorical slips, fallacies, media power.

1. من الحركة إلى الحراك: خصوصية حراك الحسيمة[1]

ما بين الحركة والحراك في المشهد السياسي بالمغرب، قواسمُ مشتركةٌ تَلُفُّهُمَا مجموعة من الخيوط السياسية التي حركتهما، ويجمعهما الإطار الجماهيري الذي عبأ كلا النموذجين السياسيين الاجتماعيين معا. فلم يكن بروز قوى شباب حركة 20 فبراير[2] إلى الساحة السياسية، مطالبين بمجموعة من الإصلاحات الدستورية، والاجتماعية والاقتصادية، بالأمر غير المشهود والمشحون بنعرات سياسية أتت بها رياح شرقية2011 عاتية. وإذا كان الحال كذلك مع الحركة وجماهيرها، فإن حال حراك الحسيمة (الريف) 2016، يصعب أن يقارب "إطاره الاجتماعي/ الاحتجاجي" دون الاحتكام إلى الخلفيات السياسية التاريخية، التي حكمت المنطقة والمتمثلة في العنف الممارس عليها إبان سنتي 1959/1958[3].

بل إن الأمر يصعب إدراكه أيضا، إذا ما تم ربط السلسلة من الاحتجاجات الجماهيرية التي خرجت إلى الشوارع والساحات، رافعة مجموعة من المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، (بموت) بائع السمك محسن فكري. ليس ثمة ما يبرر هذا الطرح دون ذاك إذا لم يأتلف السبب الأول مع السبب الثاني. وإلا لمَ لمْ تشهد باقي الحركات الاحتجاجية هذا الزخم والهالة السياسية، كتلك التي وقعت بجرادة 2018 مثلا بعد أن قضى عامل حتفه في منجم...؟ يبقى المحرك الأساس للحراك إذن ائتلاف عوامل سياسية تاريخية، وأخرى آنية بموت (بوعزيزي الحراك/ محسن فكري)، تضافرت إليها عوامل جانبية عرضية بينهما "البلوكاج الحكومي/ الزلزال السياسي" بعد انتخابات 7 أكتوبر 2016.

في العُرْفِ السياسي والاجتماعي، ينظر إلى الحركة والحراك على حد سواء، أنهما مجموعة من التكتلات البشرية الجماهيرية المتحدة، تعملان بشكل متجانس، بغية الوصول إلى أهداف سياسية واجتماعية، واقتصادية، هادفتين إلى التغيير أو التعديل أو الإصلاح، أو الإسقاط والتنحي لرموز سياسية، ومسخرة لذلك مجموعة من الآليات الخطابية لإشراك الشعب وإقناعه بالأهداف المسطرة. وهما معا جزء من "النشاط الشعبي المحتدم من مظاهرات ومسيرات واعتصامات ومهرجانات..."[4].

وإذا كان بروز حركة 20 فبراير إلى أدبيات المشهد السياسي المغربي معروفة نوازعها السياسية الإقليمية والمحلية، فإن حراك الحسيمة 2016 ليس ببعيد حاله عما سبق، بالنظر إلى مجموعة من الخصوصيات المشتركة بينهما. بل إن الأمر يكاد لا تنفصل مداخله ومخرجاته، إذا ما رُبط بسياق باقي الحركات الاحتجاجية بالعالم العربي 2011. لعل أول شاهد يتمثل في ما أطلق عليه بـ "الظاهرة البوعزيزية".

لقد أجَّجَ موت "محسن فكري/ بوعزيزي الحراك" بتاريخ 28 أكتوبر 2016 بسيناريوهاته المختلفة، الشارع الحسيمي، واتسعت رُقعته الجغرافية داخل وخارج المغرب. وخرجت الجماهير رافعة شعارات: "الشعب يريد قتلة الشهيد"، "حرية، كرامة، عدالة اجتماعية"، "محسن ارتاح ارتاح سنواصل الاحتجاج"، "كلنا محسن فكري"، "كفى من الحكرة والقهرة".

وبهذا سيتحول "محسن فكري" إلى أيقونة للحراك، فكان بمثابة الزناد الذي أشعل طلقات الاحتجاج، وصيغت على إثره مجموعة من المطالب الحقوقية، والقانونية، والاجتماعية، والاقتصادية[5]. لكن سرعان ما ستتبدد هذه المطالب مع مطالب سياسية ترجع إلى ما قبل 2016. إحداها مرتبطة بأحداث 20 فبراير 2012 بعد موت خمسة أشخاص في البنك الشعبي، وتصدر ظهير العسكرة بُنْدَ المطالب. فمن المطلب الاجتماعي إلى المطلب السياسي، وتصدر الحرية والكرامة عناوين الحراك[6].

زاد من تأزيم الوضع القائم، خُلُوُّ الساحة السياسية من قوى قادرة على الخروج بالحراك إلى بر الأمان، بفضل اللحظة الحرجة التي دخلت فيها مشاورات تشكيل أغلبية سياسية "البلوكاج الحكومي"، عقب انتخابات 7 أكتوبر

2016 التي انتهت ببلاغ "انتهى الكلام" لرئيس الحكومة المكلف آنذاك عبد الإله بنكيران. لقد جاء حراك الحسيمة "في لحظة سياسية لا توجد فيها قوى سياسية، قادرة على تجسير الفجوة، كما أتى في سياق لا توجد فيه وسائط سياسية ومدنية قادرة على أن تنوب عن السلطة السياسية، في التجاوب مع قضايا الحراك"[7] سرعان ما سينتج عنه اضطراب في المواقف والقرارات السياسية المتخذة بشأن الفعل الاحتجاجي. وكَثُرَ اللغط والهمز واللمز والغمز بشأن المتظاهرين. وبرز على إثره ازدواجية في الخطاب السياسي، بين التحول من خطاب الانفصاليين والأوباش، إلى خطاب الاعتراف بعدالة المطالب ومشروعية الاحتجاج، والتأرجح بين أي المقاربتين أصحُّ...؟ هل المقاربة الأمنية...؟ أم المقاربة السياسية...؟[8]. واشتد عودُ الخطاب السياسي وكثر التراشق بالخطابات بين ممثلي القوى السياسية[9]. ودخل الخطاب الديني بدوره إلى الواجهة ماسكا بأذناب الخطاب، مُلَمْلِماً نصوصا من هنا وهناك بما يخدم سياق الهدنة. وَلُوَّتْ أعناق سياقات الفتنة، فكانت الطامة الكبرى. نتج عنها تثوير وهيجان أقسى وأعتى.

وقد حضرت أدوار الميديا والإعلام والجماهير، بشكلها الكامل من جديد في تأجيج الفعل الاحتجاجي، خاصة بعد إيراد خبر(مقتل) محسن فكري، وقام الفايسبوك بدور الحزب البديل في نقل الوضع، عن طريق ورود أخبار وتعاليق تكشف عن المصير الذي قضى به حتفه في شاحنة للنفايات بعد إتلاف بضاعته. فكان خطاب "طْحَنْ مُّو (عامية)/ Ecraser sa mère" الشعار الذي زاد من تثوير المشاعر وتحريكها، بغض النظر عن صِدْقِ أو كَذِبِ الخطاب. حيث ركزت جُلُّ شعارات وحملات "الفايسبوك ويوتيب/ قناة Rif mobile" على هذا الخطاب، في تفعيل الفعل الاحتجاجي، واستطاعت أن تجذب قطاعا كبيرا من الشباب المنتمين وغير المنتمين، لتشكل لديهم قناعات بجدوى التظاهر والمطالبة بشعار "عدالة الشهيد".

ومع ارتفاع عدد الجماهير المشاركة في الاحتجاجات، ارتفع سقف المطالب الاجتماعية والاقتصادية، إلى مطالب سياسية. فكان شعار "لا للعسكرة" و"سلمية، سلمية"، صوت الحراك السياسي. واعتبرت الشعارات المرفوعة، والآليات التواصلية والنضالية والفنية، التقنية منها وغير التقنية، تراجيديا أخرى من تراجيديا حركة 20 فبراير. غير أن بروز "ناصر الزفزافي" كزعيم/ قائد الحراك، يبقى ربما أكبر فارق بينهما، في ظل كسوف قائد يشهد له وعليه، وترفع في وجهه شعارات ممجدة.

عُرِفَتْ عن الحركات الاحتجاجية، غياب شخصية القائد. فما الذي جعل من ناصر الزفزافي مؤطرا وزعيما سياسيا للحراك...؟ حتى تصبح الساحات العمومية في حَيْصَ بَيْص بشعار "كلنا ناصر الزفزافي، يا مخزن حذاري كلنا ناصر الزفزافي...". أهي صناعة إعلامية لزعيم سياسي تاريخي آخر تأسيا بالزمن التاريخي للمنطقة...؟

وبهذا كله، فمهمة الدراسة والتحليل المتوخاة من الحراك الاجتماعي هذا، لا تدعي لنفسها مقاربة الأحداث السياسية في بعدها التاريخي، كاشفة عن فصولها وسيناريوهاتها، بقدر ما يهمها الربط بين الفعل الاحتجاجي الجماهيري، بالشعارات والأشكال الخطابية التي حكمت جمهور الحراك طيلة مدة خروجه إلى الشوارع والساحات العمومية، مناديا بما بدى له من تناقض في الفعل السياسي، واتخاذه من الشكل الخطابي لحركة 20 فبراير مطيَّةً، شهدنا على إثرها إعادة إحياء فعل احتجاجي قديم جديد. فتصدرت قواميسه شعارات "الحرية، الكرامة، العدالة الاجتماعية...". فما أهم هذه الأشكال الخطابية...؟ وما القواسم المشتركة بينهما...؟ وأي انزلاقات خطابية لفّت الخطاب السياسي خلال هذه المرحلة...؟.

1.1 شعارات حراك الحسيمة: قراءة في الأشكال الخطابية

تميزت خطابات جمهور حراك الحسيمة، باعتبارها نشاطات لغوية/ نضالية، بقدرتها على إنتاج المعاني وتوليد دلالات، ليس فقط بواسطة تمثيلات اللغة، ولكن أيضا بواسطة تعيينات العلامات المرئية والتقنية، كاللافتات

والهتافات والأغاني، وهكذا انتظمت نُظُمُ الخطاب لهذا النموذج السياسي جامعة بين أشكال تواصلية لفظية، وأخرى غير لفظية. اعتبرت في عمومها تحويرا خاصا لجمهور حركة20 فبراير.

أ. اللافتات والصور

في الصورة الآتية، تشتغل الدوال اللغوية والأيقونية لمجموع الشعارات المرفوعة "الشعب خَلَّا وصية لا تنازل على القضية، لا للفساد، لا للحكرة، عجبا لفتنة تنام عندما يجور الظالم وتستيقظ عندما يثور المظلوم" على نقل خطابات محققة زمانيا مع خطابات 20 فبراير" لا للفساد، نريد وطن ديمقراطي شعبي ". وعدا هذا يتجه مدار شعار "الشهيد خَلَّا (عامية بمعنى الشهيد ترك) وصية لا تنازل على القضية" بالانتقال بالخطاب من فلك إلى فلك. فتحول (قتل) محسن فكري، إلى شهيد، ناتج عن الربط بين القتيل والشهيد في العُرْفِ الديني.

يعمل الشعار عامة وخطاب "الشهيد" خاصة، على استمالة فكر ومشاعر الرأي العام، ويؤثر فيه لإقناعه بجدوى خطاب (القتل)، الذي وجد في سُمُوّ اسم الشهيد وجلالته الدينية، أحسن معبر عن انتظاره ومشاعره وأفكاره. فهوية اسم الشهيد إذن بارزة في المقام المشترك، وحاضرة في المخطط الذهني للمستمَع auditoire[10]؛ يمتد الملفوظ فيه من قياس عامل الإخبار إلى محاولة تصور المرجع الديني المستند عليه.

وبهذا يكتسب خطاب "الشهيد" قوة ذهنية، نتيجة الصفة التي يتخذها "القتيل" بمجرد موته، جراء الوهم الذي بِيعَ إليه في سياق مخصوص لمجموع الآيات القرآنية، التي سيقت تحت دلالة الخلود. فهل تكون دلالة القتل هاته علامة على إيراد معنى واحد لخطاب الشهيد...؟. يجيب محمد شحرور أن، لفظ الشهيد في القرآن الكريم، ليس ثمة ما يشير أي إشارة تربط فعل القتل بالشهادة في سبيل الله. بل إن الألفاظ الدالة على الشهادة أو الشهيد فهي تدخل في باب الحضور والغياب والمعرفة بالأحداث، حيث يقول:" إذا استعرضنا جميع آيات، التنزيل الحكيم، وبخاصة تلك التي ورد فيها ذكر الشهادة والشهيد، لا نجد فيها البتة أي إشارة إلى قتل أو قتال في سبيل الله، ولا في سبيل غيره، نحن نجد أن الشهيد من أسماء الله الحسنى، ونجد أن الشهيد هو الذي شهد عقد البيع، لكننا لا نجد أبدا ما يربط بين الشهيد، والمقتول في سبيل الله أو في سبيل غيره. (...) نحن نرى أن هذا الربط جاء من حضور الشهيد للقتال الذي قتل فيه، فحين تحصل المعركة بين فريقين يعتبر جميع من شارك فيها شهداء، لأنهم حضروها سواء قتلوا فيها أم لم يقتلوا. وشهداء المعارك وحاضروها هؤلاء، منهم من يقتل في المعارك ومنهم من يبقى حيا، يشهد أمام من لم يحضرها، وليبلغه خبرها، وما جرى فيها من أحداث، فيصبح سامعوه شاهدين على المعركة التي كان هو شهيدها"[11] وينتهي بالقول بأن جميع من شهد بدرا وأحدا، وجميع من حضر الحرب العالمية الثانية، كلهم شهداء ينطبق عليهم هذا الاسم[12].

وتتسيَّدُ الصورة الثانية أدناهُ، خطابا بانوراميا، بجمعها بين شعارات آنية وأخرى سابقة، مركزة على الشخوص، "عبد الكريم الخطابي/ الأشخاص الخمسة الذين ماتوا في وكالة البنك الشعبي2011" باعتبارها "أصناما بلاغية"[13] لها من الحمولة التاريخية والسياسية، ما يجعل خطاباتها رمزا سياسيا للمنطقة، ومنحها صفات المتعالية. لذلك أتت صورها وخطاباتها ملئ الأسماع والأبصار، تنشدها الجماهير وتستشهد بها في شعاراتهم.

تعمل الخطابات المجسدة على الجمع بين شخوص تاريخية (عبد الكريم الخطابي)، وأخرى تزامنية (محسن فكري/الأشخاص الخمسة الذين ماتوا حرقا بوكالة للبنك الشعبي بالمنطقة إبان حركة 20 فبراير 2011)، وبجانبها شخوص عرضية، يُنظر إليها أنها سبب افتعال قضية القتل (عبد الإله بنكيران، محمد حصاد).

بناء على هذا، يحاول الاستدعاء الاستعاري المتكرر للصنم البلاغي عبد الكريم الخطابي، لفظا وصورة في جل شعارات الحراك، حافزا سياسيا لدى الجمهور، بالنظر إلى مواقفه السياسية التاريخية المتضاربة، المجسدة في حروبه ضد الاستعمار. لذلك أتى الاستدعاء هنا مقرونا بين زمنين: زمن الشجاعة والقوة وزمن القهر "حينما تشتد وطأة الأزمات الوطنية، وتستباح كرامة الإنسان، وتقتضي المرحلة الخروج من عنق الزجاجة يكثر استدعاء الشخصيات التاريخية في الأعمال الفنية، لتكون الشخصية المستدعاة حافزا على الصبر والصمود في مواجهة الأزمات والمخاطر، أو لتصوير التباين بين الماضي والحاضر، لهذا استدعى فنانو الكاريكاتير شخصيات تاريخية للتعبير عن مفارقات سياسية بين ماض عريق في الأصالة والكرامة، وحاضر غريق في الإهانة"[14]. ولعل إيراد صورة (محمد حصاد، عبد الإله بنكيران، عبد الكريم الخطابي) هو التجلي الحر، للتعبير عن هذه المفارقة السياسية التي تحملها كلا الشخصيات السياسية. فماضي عبد الكريم الخطابي يمثل درعا واقيا للأصالة والكرامة، أما شخصيتي محمد حصاد، وعبد الإله بنكيران، فحاضرهما يشي بزمن مليء بالإهانة والقهر. زاد من تأكيد فحوى الدلالة هاته، اقتران الشخصيتان السياسيتان بالخطاب المُزَلْزِلِ للحراك "طْحَنْ دِينْ مُو(عامّية تعني السب والشتم)". وبه نكون إزاء ثنائيتان دلاليتان: الأولى تمتص من معين التاريخ السياسي، لتعبر عن ماضٍ مشرقٍ، والثانية تتخبط في أقصى درجات التناقض. لذا فالقول بالاستدعاء الاستعاري لكلا النموذجين السياسيين، حتى وإن اختلفا زمانا ومكانا، وربما فكرا، ليس بالمحايد

في شيء. لأن الفعل الاستعاري والاستعارات عموما " نادرا ما تكون محايدة (...) فهي تبرز بعض أبعاد المجال المستهدف وتخفي أخرى"[15].

تعددت أشكال القنوات الحاملة للشعارات، عند جمهور الحراك وتنوعت. فما بين الألواح الخشبية وأوراق المقوى، والكارتون، تحضر التقنيات اليومية "آلة خلط كهربائي"، والأجساد العارية، هي الأخرى بجانبها، مروجة لخطابات التناقض. يبرز ذلك من خلال اللافتتين الآتيتين:

لقد تحول خطاب "طْحَنْ مُو" بمجرد طلقته الأولى على حملات الفايسبوك، إلى طرائق خطابية لتحقيق الفعل الإقناعي الناجم عن حدث (القتل) عبر بناء استدلالات فورية، تحولت فيها المقولات الخطابية من سند إلى سند، لغوي وغير لغوي، وصل إلى حد التجربة المعاشة، بتوظيف "آلة خلط كهربائية/ مولينكس" قولا وفعلا وتركيبا. قولا باحتضان اللافتة للرسالة اللغوية "طحن مو"، وفعلا وتركيبا حينما استدل الخطاب بتقنية معاشة، أضيف إليها عنصر اللون الأحمر تزكية للحدث. فما يهم إذن في هذه الإرسالية الخطابية ليس جوانب الخطاب الأسلوبي "طحن مو"، ولكن تحول القيمة المادية والمعنوية لفعل القتل "الطحن"، من وعاء شاحنة النفايات، إلى وعاء آلة خلط كهربائي. وإلى جانب ذلك، يفترض في الانسجام الدلالي للصورة المقابلة، وجود تزامن لمضمون خطاب "التعذيب/سنوات الرصاص" مع دلالة القناة الحاملة له "الجسد العاري". إذ لم يجد الخطاب بدا من هذه التقنية لمحاولة استدعاء زمن سياسي (سنوات الرصاص) في إشارة إلى القمع الممارس على المنطقة خلال 1959/1958.، مزكيا إياه بتوظيف ندوب وجروح حمراء تظهر تلاحم الفعل "التعذيب" بالرمز.

وتُحاجج الشعارات المرفوعة في اللافتة أدناه، سياق ومواضيع خطاب السلطة الذي خرج، واصفا المحتجين بمفتعلي الفتنة، فكان هذا التوظيف لجوء إلى خلق استدلال إقناعي بديل.

يقوم الاستدلال الإقناعي البديل هنا، على تقنية جدلية، مؤداها السؤال والجواب، لإبطال مفعول خطاب السلطة "الفتنة". فالشعار يسأل ويجيب في نفس الوقت، يقيم علاقة النفي والإثبات. وبالرغم من خلوه من أداة الاستفهام، إلا أن إضافة العنصر الجرافيكي "؟" قام مقام الأداة في الدلالة.

وتعمل هذه الأسئلة والأجوبة على علاقات جدلية، تتغى تصحيح حجة خطاب "الفتنة". إنها من وجهة نظر بلاغية، "تصحح الآراء، ولا تهب اليقين، وتكسب المرء قدرة على الفحص والتنقير والاستقراء والإثبات والإبطال، وتعقب ما يخطر بالبال، والنظر في المسألة الواحدة من جميع جهاتها وعلى مختلف هيئاتها"[16]، حيث قوبلت حجة النفي "الفتنة"، بمواضيع اجتماعية "مهرجان موازين، نهب الأموال، البطالة"، مثبتة تعبر من جهة على رداءة الفعل السياسي، ومن جهة ثانية تؤكد على سلمية التظاهر من أجل تحقيق المطالب الاجتماعية العادلة. ولا يمكن النظر إلى الحجج الاجتماعية المثبتة هاته، جوابا عن سؤال الفتنة، على أنها متناهية. إنها إجابات مسترسلة يعكسها توظيف أداة الترقيم (...)، فأداة الترقيم هاته لا تعني شيئا في حد ذاتها، وتموضعها بمعزل عن الخطاب، يكاد أن لا يكون سوى آلية تركيبية اعتباطية للمعنى، لكن تجميعها في وحدة علائقية مع المجموع اللفظي العام لبنية الخطاب، يؤشر على علاقة غائبة وغير مرئية مع الخطابات الاجتماعية المولدة.

ولعل تعبير الفتنة الموظف باللون الأحمر، وقُصَاصَةُ الورق الموضوعة على فم المتظاهر ذات اللون الأحمر (علامة المنع)، هما نتيجة آلية استدلال متعارض يروم خطاب السلطة القول به، وهي سياسة تكميم الأفواه والخنوع. وبهذا يتجه تعبير الفتنة وقصاصة الورق لكشف زيف خطاب السلطة، وتعرية دلالة خطاب الفتنة.

ونفس ما قيل عن خطاب الفتنة، يُسَاقُ إلى خطاب الانفصاليين في اللافتة أدناه. فإذا كان لخطاب الفتنة حمولة دينية، ناجمة عن إسقاط لأحاديث نبوية[17] على سياقات التظاهر والاحتجاج، بدعوى إثارة الفتنة، وخلق البلبلة، والخروج عن أمر الجماعة. فإن للانفصاليين حمولة سياسية تاريخية، كلاهما موضوعان للدعاية السياسية.

يقوم الشعار على تجنيد خطابي مفند للدعاية السياسية لخطاب السلطة القائم، مؤداه التركيز على سلمية الحدث "سلمية...سلمية"، وهي صفة تعمل عمل النفي والإثبات في آن واحد بربطها بلفظ "لسنا انفصاليين"، غير أن البياض ونقط الحذف المضمومة إلى لفظتي سلمية، جعل الشعار مبهما وغامضا. فقد يفهم من البياض على أنه فعل احتجاجي عادي، كما قد يفهم منه ثورة، في ظل تناسل المعاني المرتبطة بالحدث السياسي.

وإلى جانب ذلك، يحضر الخطاب الكاريكاتيري معززا أطروحة كيل الحكومة والأحزاب السياسية بمكيالين اتجاه الحراك. بفعل احتضان الفعل السياسي، لقوى سياسية أجادت الخرجات الإعلامية بفضل التراشق الخِطابي بينهم، وَلَيِّ حبل المسؤولية من المعارضة إلى الحكومة ومن الحكومة إلى المعارضة، وانكماش كل أشكال التواصل مع المحتجين. أتى هذا الفعل السياسي مجسدا من خلال الرسم الكاريكاتيري الآتي:

تشتغل الدلالات السياسية في الخطاب الكاريكاتوري هذا، بانضمام سندات منسجمة في ما بينها لتختزل الوضع السياسي للحراك. يأتي السند اللغوي طارقا أبواب هذه الدلالات: حراك الريف، الحكومة، الأحزاب السياسية. في حين يقبع السند الطبيعي المتمثل في رمال الصحراء و السلاحف، والنعامة كحامل ذي معنى هو الآخر. وبجانبه السند الأيقوني: جماهير حاملة للافتات، خلفها بنايات يبدو أنها مساجد. وتتماهى كل هذه السندات مع سند الألوان: الأزرق الفاتح، البني، الأسود، الأبيض، البني المفتوح، البني الداكن، الرمادي.

تنصهر المعاني في السند الطبيعي "النعامة، والسلاحف" مع السند اللغوي "الحكومة، الأحزاب السياسية" لتكون معنى واحدا. فتبرز دلالة النعامة وهي تدس رأسها في الرمال، بحالة الخوف والانهزامية التي تضع نفسها فيها خشية النيل منها. فسلاحها لمواجهة المخاطر والمهالك التي تتهددها الاختباء وراء كومة من حبات الرمال. والحكومة (حكومة عبد الإله بنكيران/الأغلبية) تعاطيها مع أوضاع حراك الريف، شبيه بحال النعامة هذا. وبهذا يكون الخطاب الكاريكاتوري يقيم علاقة مفارقة بين، شجاعة النعامة، وشجاعة الحكومة.

ونفس الشيء مع وضعية السلاحف، إذ كلما ذكرت السلحفاة إلا وتسلل معنى "يمشي الهُوَيْنَى" إلى الواجهة، لدرجة بطئه الشديدة. وتوظيفها هنا على السند اللغوي "الأحزاب السياسية" تجسيد للفعل السياسي التي أظهرته. فهي من جهة تمثل البطء باتخاذها قرارات سياسية جِرِيئةَ، ومن جهة ثانية شكلت لنفسها انزواء، في ظل اصطفافها (اصطفاف شكل السلاحف).

لم يكن هذا المعنى ليفصح عن نفسه، لولى حمل الخطاب الكاريكاتوري ثنائيات دلالية "الحيواني مع اللغوي". لقد استند الحامل اللغوي "الأحزاب السياسية والحكومة" ليوجه بوصلة المعنى نحو المقصود، ذلك أن اقتصار الخطاب فقط على السند الطبيعي/الحيواني، قد لا يكون حاملا للمعنى المراد به من موضوع الخطاب عامة "حراك الريف".

وسعيا لإيصال باقي الدلالات مع بعضها، يُنْظر إلى السند الأيقوني "بنايات المساجد". وفي ظل عجز المؤسسات السياسية عن مقاربة الأوضاع. يجسد توظيف هذه الأشكال إلى جانبها، تعبيرا آخر بحمل المؤسسات الدينية المشعل. فما لم يستطع الخطاب السياسي (الأمن السياسي) فعله مع المحتجين، أدركه الخطاب الديني (الأمن الديني) اعتبارا لخطب يوم الجمعة، وبخاصة خطبة 26 ماي 2017.

ب. الهتافات

تم توليد الهتافات والأغاني عند جمهور الحراك، على سيرورات دلالية وتقنية سابقة. تأتي الأشكال الخطابية التقنية وغير التقنية محددة أحيانا بطقوسها الكرنفالية والاحتفالية نبرا وتنغيما، وأحيانا أخرى باستدعاء الشعارات لفظا ومعنا وإيقاعا.[18] أو الاكتفاء بتحويرها وإخضاعها للبتر والزيادة والنقصان. وما يجب ملاحظته، أن بعض الخطابات اكتسبت مناسبة جديدة بفضل الفعل الإنجازي والخطابي الذي حققته في فترتها التاريخية تلك، يتعلق الأمر بتحاور الخطاب مع عبارة "زنقة، زنقة...بيت، بيت" لمعمر القدافي. لقد تحول هذا الخطاب بمجرد تلفظه ليصبح شاهدا على لحظة تاريخية سياسية، وجرى تقليبه بطرق شتى ليصبح مسَلَّمَة جديدة، حاملا لخطاب السخرية.

يستثمر المشهد الخطابي الآتي[19] إحدى دلالاته الخاصة، موظفا طرائق مختلفة لتحقيق الفعل الإقناعي/الأفعال الإقناعية، لكون الشعارات المرفوعة لا ترسم استحقاقا خطابيا واحدا، وإنما تتحول المقولات اللغوية والإرساليات البصرية والنغمية القابعة فيها إلى عدة قضايا.

تتحول بعض الإرساليات البصرية الأيقونية "صورة عبد الكريم الخطابي، رسوم الحمامة، أعلام الثورة البلشفية، أعلام أمازيغية" في إنتاجية الخطاب إلى مقتضيات مقامية لفعل الإقناع. لأن كل"تأثير جمالي يتوخى في المحصنة النهائية تأثيرا عمليا"[20] بفضل حمل وظيفتها التواصلية هنا على دلالات المساهمة المادية. فبروز رسوم الحمامة في المشهد الخطابي ككل أضفت عليه آلية إقناعية، لرمزية الرسم والمتمثل في خطاب السلمية والسلام الذي ينشده الشكل الاحتجاجي.

وتنص الإرساليات اللغوية الصامتة "حرية، كرامة، عدالة اجتماعية، أين الثروة، حقنا في التوزيع العادل للثروات، نريد وطن ديمقراطي شعبي، كفى من الحكرة، الخبز الحرية السلام..." من وجهة نظر بلاغية على مجموعة

من المواضيع الاجتماعية، باعتبارها تمثلات اجتماعية وثقافية تخدم الصالح العام، يُجِيزُهَا الحس المشترك بينهم. فالمواضيع "تعريفات اجتماعية وثقافية لأشياء العالم والتي يقيمها الإنسان في الأشياء لما تمثله له من مصالح، حتى تتشكل في وعيه يوميا، وتقوم بتحديد علاقات عملية للأشياء وبالظواهر التي تحيط به"[21] ولذلك عدها شاييم بيرلمان "بمثابة خزانٍ للحجج"[22].

ونفس الحس المشترك في المواضيع أتت حاملة به الإرساليات النغمية المحركة. وتتميز عن سابقتها بانضمام أصوات محركة ومجلجلة زادت من فعل التأثير والإقناع، بفعل تماهيها مع أصوات مكبرات الصوت، وأصوات المحتجين وتصفيقاتهم.

وتنقسم الإرسالية النغمية من حيث تصفيق الجمهور إلى واجهتين: التصفيق التلقائي الحر[23] في بداية المشهد الخطابي بوجود أقلية قليلة متابعة للشعارات بفعل التصفيق. وستختلف الواجهة الثانية من المشهد بعد تدخل ناصر "الزفزافي" باللسان الأمازيغي قائلا:" الشِّعَارُ الآتِي الكُلُّ مُطَالَبٌ بِالتَّصْفِيقِ لَا دَاعِيَ لِلْبَقَاءِ هَادِئِينَ". تعتبر هذه العبارة إذن من "العبارات المباشرة الحاثة على التصفيق"[24] والتي زادت من حماس واستجابة الجماهير مع الخطابات المرفوعة، وكانت فاصلة زمنيا بين الواجهتين استحسانا، بالنظر إلى خصوصية الخطابات المرفوعة خلال هذه اللحظة الزمنية، أعقبها تغيير في درجة النبر والتنغيم "شَعْبُ الْمَغْرِبْ قَرَّرَ (مكرر) إِسْقَاطْ الشَّفَّارَا (مكرر) شَعْبُ الْمَغْرِبْ قَرَّرَ (مكرر) إِسْقَاطْ الشَّفَّارَا، إِسْقَاطْ الْحَكَّارَا، إِسْقَاطْ العَسْكَرَا (مكرر)...". وتحمل واجهتي المشهد الخطابي معاً، هَمَّ التاريخ السياسي لمنطقة الريف، عُبِّر عنه بالرحيل والإسقاط "إسقاط العسكرة[25]/قتلى حرب 1958".

ويشيد المشهد الخطابي[26] لنفسه موقعا خطابيا خاصا، بفعل رحابة الفضاء البلاغي، وكثرة الحشود وتنوعها، واختلاف الطبقات الصوتية والتقنية بين زغاريد النساء، وصافرات الاستهجان، وصيحات الإعجاب، وتصفيقات الجمهور الاستحسانية، ومؤثرات أضواء الهواتف النقالة، وازدحام وتكتل الحشود، ممزوجة بأصوات مكبرات الصوت المثبتة على سطح السيارة. لتصبح كل هذه الأشكال البلاغية إذن، حاملات خطابية:

حاملات خطابية:
- مؤثرات شكلية/ تَرَنُّحُ وَتَلْوِيحُ الجمهور
- مؤثرات بصرية/ أضواء الهواتف النقالة
- مؤثرات سمعية/ أصوات الجماهير ومكبرات الصوت
- مؤثرات لغوية/ أمازيغية، عامية
- رحابة الفضاء البلاغي/ شساعة الساحة
- أعلام أمازيغية وأعلام الثورة البلشفية
- السيارة
- الجمهور

عندما تتضافر إذن كل هذه الحاملات مع بعضها، يصعب أن تخرج بخطاب عقلاني معها "لأن تركيبتها تختلف، ليس فقط بحسب العرق البشري وتشكيلة الجماعات، وإنما بحسب طبيعة المحرضات التي تتعرض لها ودرجة قوتها"[27] إن إضافة كل هذه الأشكال إلى الفعل التلفظي يعطل الحواس، ويتوقف عمل الأعصاب بِفَقْدها القدرة على التواصل بين العقل وباقي الأعضاء الأخرى، ليصبح خطاب اللاوعي هو سيد الموقف. لكن قد يكون لها بعد آخر غير هذا الذي يسعى لتمثيله، يتجلى في البعد الحضاري للفعل الاحتجاجي، ما دام أنها تجنح إلى "الحوار" مع خطابات السلطة بشكل يقل فيه "التقويل والتهويل"[28] نسبيا.

وعلى هذا الأساس يُنظَرُ إلى الحاملات الخطابية، على أنها عمليات مُحَاجِجَةٌ؛ يوجد فيها ما هو عملي، وما هو لغوي فني، وتقني. راعت البعد الثقافي المشترك، حينما يتحاور اللسان العامي (الدارجة)، مع اللسان الأمازيغي، آخذة بالحُسبان البعد الإقناعي، والتنوع الثقافي والاجتماعي لسكان منطقة الريف خصوصا، والمغاربة عموما الذي يفترض فيهم عدم المعرفة باللسان الأمازيغي. ذلك أن الحجاج يفترض فيه "دراسة طبيعة عقل المستمع، ثم اختيار أحسن الفرضيات بمحاورتها والإصغاء إليها، مع محاولة حيازة انسجامها الإيجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، لأنه إذا لم يأخذ الحجاج هذه الأمور النفسية والاجتماعية بعين الاعتبار، فإن الإقناع يكون بلا غاية وبلا تأثير"[29].

ت. الفيلم الساخر

أبدعت جماهير الحراك شكلا جديدا يواكب عمليات تعرية أحد خطابات السلطة (الخطاب الديني)، يقوم على درجات فنية تتداخل فيها عمليات المونتاج والإخراج والإكسسوار والملابس والمعدات التقنية وغير التقنية لتزيد من لَبْس الخطاب أقصى درجة الواقعية. حيث المصور والمونتير وفني الصوت والمكساج والإضاءة من بين الخصائص التي أضيفت إلى الخطاب اللغوي، على نحو ما يمثله الفيلم القصير الآتي[30].

يستثمر الفيلم سخريته من إحدى الخطابات التي شكلت رُكنا أساسا على أحداث الحراك بصفة عامة. يتعلق الأمر بخطاب المقدس الديني الذي حشر نفسه في مأزق السياسي من وجهة نظر دينية. ولهذا الغرض أُنتج لهذه المرحلة خطابا ساخرا يستثمر الفضاء البلاغي "المسجد" صورة ولغة. عبر توظيف اللغة الساخرة الناقدة وتحويرها بناء على وجوهٍ عدة.

ولتفعيل غرض الخطاب النقدي الساخر، وتحقيق التأثير والإقناع، وتعرية جدوى توظيف الديني للسياسي، ولي أعناق الأحاديث والآيات القرآنية من طرف خُطباء المنابر، لجأ الخطاب الساخر إلى نفس اللعبة. وتتفاعل السخرية هنا بين شخصين اثنين: يجسد الأول دور الخطيب الواعظ، والثاني يمثل الجمهور المقيد والمبرمج والمنزوع الثقافة والنقد أثناء تأدية الواجب الديني. ولمحاولة فرض هذه الصورة المقيدة لما يدعيه الخطيب، يحاول كلاهما تسخير التفاعل الخطابي بينهما؛ تفاعل مُشَخّصٌ ناقد يقابل خطاب رجل الدين بالواقع الاجتماعي أو السياسي.

تنخرط كلا الشخصيتان في إبراز الطقوس الخطابية التي تحكم الخطيب وجمهوره في فضاء المسجد، بدءا من ثقافة التكرار والمعارف النقلية، وصولا إلى ثقافة الاستيلاب الفكري والذهني.

ما يميز موضوع السخرية الذي حَفِلَ به الفيلم، قدرتها على تحطيم حاجز المحرمات ونزع هالة المقدس عن العقائد الدينية وجعلها عُرضة للسخرية والضحك. وبذلك تكون السخرية قد أسهمت في إماطة اللثام عن الكثير من رهبة الديني والسياسي، وجعلهما موضوعا للسخرية في آن واحد. وما دام أن السخرية من وجهة نظر بلاغية "استخدامها ممكن في جميع الحالات الحجاجية"[31] فيمكن النظر إلى هذا التوظيف في هذا الموقع على أنها وجه استذكاري وفكري وتطوير، ومنهج نقدي يسعى لكشف مقاربة الديني للسياسي، ويقفز عن المحرمات (المقدسات) ليجعل منه موضوعا للنقد والفحص.

إن السخرية بهذا المعنى مكون من مكونات الحركات النقدية الجديدة التي تتغيى إعادة قراءة المقدس الديني بناء على شد الانتباه إلى عمليات التجاور الخطابي التي تطالُ استلهام النصوص الدينية لخدمة أغراض سياسية أو اجتماعية. كما تسعى إلى كشف النقاب عن بعض الممارسات الخطابية التضليلية التي يلجأ إليها الوُّعَاظُ لتكريس ثقافة الخنوع.

2.1 حراك الحسيمة والانزلاقات الخطابية

عُرِفَ عن الخطاب السياسي، والسياسة عموما، على أنهما تدبير الاختلافات في مسائل وقيم مشتركة بين عامة الناس في ظل سيادة الشعب. وما دام أن "ميدان السياسة لا يستلزم الكفاءة و الروح المنطقية، ولكن يتطلب التدبير والتصميم المُعقلن، بحيث يمكن أن نتخلى عن المنطقي، باستثناء العنف غير النافع. من أجل تجريب مطابقة هذا التصميم للواقع"[32]، وتبعاً لأن "الأصل في الكلام هو الحوار، والأصل في الحوار هو الاختلاف"[33]، فإن تدبير هذا الاختلاف في ميدان كهذا، يراعى فيه التدابير التي تستلزم الحوار والإقناع، بناء على ثنائية المشاور والخبير، حيث يقوم الأول مقام المدبر: هدفه محاولة إيجاد موقف ينسجم مع الأطراف المتنازعة، أما الثاني فتقوم مهمته على الخبرة العلمية[34]. وهكذا تتم العمليات التخاطبية مُراعية حق الآخر (فُرَادَى وَجَمَاعَاتٍ) في الاختلاف السياسي، دون محاولة مصادرة حقه (الكلام)، إما إقماعاً[35] أو استهواءً رغباً ورهباً وتغليطاً[36] أو فجوراً في الخصومةِ[37] أو تهويلاً وتقويلاً وادعاءً[38] وكلها تَكْتِيكَاتٌ خطابيةٌ تَنْزَلِقُ بالخطاب/الحوار، من دائرة الممكن إلى دائرة المطلق بتعبير محمد العمري.

تماشيا مع الطرح المقدم أعلاه، وربطا بتخليق الخطاب السياسي لحراك الحسيمة، آثرنا فحص خطابات هذه المرحلة، لتبيان بعض الانزلاقات الخطابية التي حكمت الإطار السياسي لها، وكذا إبراز بعض الانزلاقات والادعاءات التي استفاض بها نُشطاء الحراك أنفسهم (خطابات ناصر الزفزافي). وبذلك يمكن النظر إلى حجم هذه الانزلاقات من خلال ثلاث مؤسسات: أولها مؤسسات الخطاب السياسي (الأمن السياسي)، ثانيها، مؤسسات الخطاب الديني (الأمن الروحي/الديني)، ثالثها، الخطابات الشعبوية (المحتجين).

لم يكن السياق السياسي وتجمهر المحتجين في "حراك الحسيمة"، بانخراط الخطابين السياسي والديني لمواجهة شكل الاحتجاجات القوية، ببعيد حاله عما شهدته باقي الأشكال الاحتجاجية بالعالم العربي، بتدخل السياسي في الديني من أجل وأد خطاب المحتجين ومحاولة ردعهم وثنيهم عن فعلهم هذا، وزيادة ضغط اجتماعي آخر مقابل لهم. إذ "غالبا ما يستعير السياسي العربي لغة رجل الدين، لسانه العربي المبين سعيا منه وراء تقديس سياسته بألفاظ سواه، وكأنه يحجب لنفسه بحجاب غيبي، مجهول عنوانه: اللغة حرز آخر مقدس، ما دامت هي (اعتقاد) لغة القرآن والدين ورجالاته [...] وعلى هذا الأساس يؤخذ الجمهور من لسانه واعتقاده. وهو أخذ لفظي طقسي، شعائري، مثالي، وإطلاقي، لا تطوري في كل حال"[39] وأمام فشل كل أشكال التسوية السياسية لمؤسسات الدولة السياسية "الأمن السياسي" في مقاربة الأوضاع والحيلولة دون تزايد حجم المتظاهرين، لم تجد خطابات السلطة بدا من مؤسسات "الأمن الديني" بالجوامع ودور العبادات، والقنوات الفضائية، وخرجات رجال الدين ليمتطوا صهوة الخطاب السياسي/الديني بناء على فتاوى مقطوعة السياق.

لقد شكلت أيام الجُمَعِ ولسلطتها وقوتها على الإقناع، فضاءات بلاغية للمحاججة، فضلا عن ركون رجل الدين إلى فضاءات الشاشة ولعبه دور المُخَلِّصِ، فنتج عن هذا كله تحوير وتقويل وتهويل، وإسقاطات لأحاديث وآيات قرآنية، أخرجت عن سياقها، وتم لَيُّ أعناقهما بما يخدم الحدث السياسي، لفظا، ونصا، ومعنا. واشتد "الولاء السياسي بالولاء الديني"[40]، وكثُرَتِ المغالطات وتصاعدت خطابات القتل متكئة على نصوص دينية كما هي[41] وصنف آخر بالجواز، وبينهما صنف ثالث اكتفى بالأوصاف والنعوت من قبل "الخوارج/ودُعاة فتنة/الأوباش...".

بَعْدَ هذا التصعيد الخطابي الذي يجمع بين شتات النصوص الدينية، بغية التعبير عن حالة سياسية راهنة تختلف عنها سياقا، وزمانا، وسببا، وتاريخا، لا يُنتج عنها من وجهة نظر بلاغية سوى إرهاب فكري واستهواء عقائدي للجمهور، كان لِزاماً أن تقتدي اللحظة السياسية لحراك الحسيمة بمثيلاتها، غير أن وَقْع الخطاب الملتبس فيه جاء

أقل حدةً من سابقه، بالنظر إلى حِدَّة الخطاب المستعمل. فوظيفة الديني غير وظيفة السياسي: وظيفة الديني هي ربط العلائق الروحانية بين العباد وربهم، أما وظيفة السياسي فهي تدبير علائقي أيضا قِوامُهُ استشكال مسائل خِلافيةٍ دنيوية، مبنية على مصالح مشتركة بين الإنسان وبَنِيهِ. فهل يمكن حتماً الربط بين ما هو مُكَدَّسٌ (من التكديس والاجترار /الخطاب الديني) بما هو مُدَنَّسٌ (الخطاب السياسي)...؟ ليس هذا هو السؤال الذي تسعى البلاغة الإجابة عنه في سبيل كشف أوجه زيف أحد الخطابات الملتبسة بين السياسي والديني في حراك الحسيمة (خطبة يوم الجمعة بتاريخ 26 ماي 2017).

تندرج خُطبة 26 ماي 2017[42] في سياق الاحتجاجات المتواصلة لنشطاء حراك الحسيمة، وهي تدخل ضمن خُطب الوعظ والإرشاد التي جرت عادةُ المؤسسات الدينية (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) أن تُمثلها كلما حل ظرف سياسي تاريخي أو تزامني. وقد ارتبطت هذه الخطبة مكانا بمنطقة الحسيمة وأقاليمها.

تنطلق الخطبة على غرار باقي الخُطب الدينية المؤطرة لفعل الوعظ والإرشاد، من طُقوسَ استهلاليةٍ بدءاً بالبسملة والحَمْدَلَةِ، موزعةَ على الخطبتين الأولى والثانية. جاءت الخُطبة الأولى حاملةً لسبعِ وحدات خطابية، كل وحدة خطابية تضم موضوعا، يستقل بذاته أو يأتي متمما بما يليه. يعمد فيها المُخَيِّلُ[43] إلى إقامة خطاب مأثر مدغدغ للعواطف بدءاً من المقدمة التي رُبط فيها بالبسملة والحمدلة مباشرة بموضوع الخطبة ضمنيا "حراك الحسيمة"، حيث اعتبرت عبارة "شَهَادَةً تَهْدِي الْمُؤمِنَ بِهَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ، وَتَعْصِمُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي كُلِّ شَرٍّ وَزَلَلٍ" فاتحة الموضوع، غير مصرحة به. فورودها إلى جانب نص المقدمة هاته لا يخدم حُجية السياق والمقام.، ولا تقيم برابط منطقي جامع، سوى أنها عملية استدراج متعلق بالموضوع المتداول "المفند/ المعارض". أما الخطبة الثانية فجاءت حافلة بطقوس الآداب السلطانية كغيرها من الخُطب التي دأب أئمة المساجد تلقينها لعموم المصلين.

لقد كان تسللُ العبارة هاته، إلى المقدمة الاستهلالية، دالاً على حمل الاعتقاد بموضوع الخطبة، مقابلا إياها بين ثنائيتي "الخير والصلاح/الشر والزلل"، وبذلك يمكن اعتبارها بداية استدراج استهوائية للجمهور (عمومُ المُصَلِّينَ).

لا يستقيم القول بوجود انزلاق خَطابي في الخطبة عند المُخيلِ، إلا بضم الوحدة الأولى إلى الوحدة الثانية اعتمادا على تسلسل الخطاب واتضاح معناه في ذهن (محلل الخطاب). ذلك أن موضوع المغالطات لا تعلن عن نفسها بمقتضى موضوع الوحدة الأولى، الجامع فيه بين الرأي المقلد[44] على كثرته، والسفسطة الشخصية.

بُنيت هذه السفسطات عنده بناء على رأي، صيغ عبر مقدمات حجاجية قوامها الإرهاب الفكري[45] وسفسطة المآل[46] سعيا منه لوأد الفعل الاحتجاجي، لأن الفعل الاحتجاجي هذا والتجمهر ، لا محالة سيؤدي إلى انقلاب أمني وضياع للدين، والمحارم، والأموال... باعتبارها ضروريات خمس من وجهة نظر دينية، ضاربا لذلك بعقد صلة وصل بين أمن واستقرار المغرب، بباقي البلدان الأخرى. "نَأْمَنُ عَلَى دِينِنَا، وَعَلَى أَمْوَالِنَا، وَعَلَى مَحَارِمِنَا، وَفِي طُرُقَاتِنَا، وَبُيُوتِنَا وَمَسَاجِدِنَا، نَقْطَعُ بِلَادَنَا طُولَهَا وَعَرْضِهَا فِي أَسْفَارِنَا آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا، فِي حِين أَنَّنَا نَرَى بَعْضَ الأَقْطَارِ فِي حَالٍ لَا تَسُرُّ قَلْبَ مُسْلِمٍ مِنْ انْقِلَابِ الأَمْنِ وَضَيَاعِهِ" ولهذا تراه يشرح ويفسر ويستشرف المستقبل، تخويفا لما سيؤول إليه الوضع.

وبجانبهما، وتزكية للفعل الإقناعي، ألزم المخيل خطابه سفسطة العاطفة[47] عندما تتوارد عنده في ربطه لقياس النعمة، بين نعمة الدين ونعمة الأمن والاستقرار وجعلهما تحت خانة واحدة بما يخدم المصلحة السياسية الأولى، مركزا على ربط مشاعر الجمهور، وتجيشها، ودغدغتها، وإثارة مشاعر البهجة والخوف، بين شكر النعمة وجحودها. ويتعدى خطاب العاطفة هذا جموع المصلين إلى خارج المسجد، في سبيل اتساع رقعة سلطة الخطاب. ومن المؤشرات الحجاجية العاطفية الدالة على هذا. اقتران نعمتي الدين والأمن بالله. وبذلك يمكن صياغة الخطاب على الشكل الآتي:

كل النعم هبة إلهية ← مقدمة استقرائية (حجة أولى)
↓
نعمة الدين من عند الله ← حجة ثانية
↓
نعمة أمن واستقرار المغرب من عند الله ← حجة ثالثة
↓
تستوجب الشكر والذكر والتشهير، وكل خروج عن القاعدة (الإلهية) كُفر وجحود بها. ← نتيجة

تعمل كل الأمثلة المقدمة على قياس مضمر قيسَ على الحجة الأولى لابتغاء النتيجة النهائية.

لوأد خطاب الاحتجاج، ركن الخطاب الأصولي ومن خلال هاتين الفقرتين إلى انزلاق مُرَكّب باللعب على وتر، أمن واستقرار المغرب تحت ذريعة النعمة. فذكرُ المخيل لنعمة الأمن والاستقرار ابتداء وبدون مقدمات، ومقايضتها بوقائع معكوسة، كثُرت فيها الأمثلة والشواهد، كلها تكنيك خطابي، وبناء عاطفي استهوائي للجمهور لا يخدم كل السياقات المستشهد بها، غير إثارة حسِّ الشفقة والاقتناع بصحة دعوى ما يقوله المخيل.

وتقوم الوحدتين الحجاجيتين الثالثة والرابعة، بالعمل على نفس الاستراتيجية الخطابية السابقة، بحيث تعمل الوحدة الحجاجية الثالثة على الربط بين مقدمات ممهدة سيحتكم فيها إلى رابط غير منطقي بين النعم التي ينعم بها المغرب، وبين محاولة التوجه إلى تنزيه (الفعل السياسي) عن الخطأ والقصور. لكنه لم يقف عند هذا الحد بل حَشَرَ فنادى "وَلَكِنَّ مُعَالَجَةَ هَذَا القُصُورِ لَا بُدَّ أَنْ نَسْلُكَ فِيهِ الْمَنْهَجَ الشَّرْعِي، لَا بُدَّ أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ شَرْعِنَا وَكِتَابِ نَبِيِّنَا" مكتفيا فقط بالربط لا غير. إنه بهذا كله - المخيل - يستثمر التغني بالمشترك الديني وبالمنجزات لبناء مسلمة حجاجية يتخذها منطلقا، رابطا بين فعل القصور (العمل السياسي)، وفعل الإصلاح (وجهة نظر دينية)، دون أن يحدد لمسلمته هاته تعريفا دقيقا يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار ولو في وجه من وجوهها. وهو ما أسقطه في سفسطة الاسترحام[48]. وبذلك يصبح الاحتكام إلى الشرع، من وجهة نظر المخيل، رافعة الخلاف ورافعة التجمهر والفعل الاحتجاجي ككل. فما وجه عِلَّةِ هذا الربط...؟.

غير أنه ما لبث يُوَلِّي نظره إلى حجة "النعمة" مرة أخرى مذكرا بها وموجها الأسماع والأبصار إلى ما تحققَ من منجزات، في سبيل الحد من الفعل الاحتجاجي، معيدا نفس الخطاب البراغماتي الأول، رابطا بين الفعل الاجتماعي/السياسي، وبين تقويله وتهويله، وأضحى ما يقوله هو نظير ومثيل ما يقوله النص الشرعي (الحديث). فكان التغليط عنده مبني على قياس خيارين: أحدهما فاسد والآخر صالح. ينطلق الخيار الصالح، جامعاً بين التغنّي بنعمة الأمن، وسلك المسلك الشرعي في رفع المظالم وإصلاح أخطاء السياسي، مكتفيا فقط بالتضمين والإيهام "لَا تَعْنِي بِحَالٍ عَدَمَ وُجُودَ تَقْصِيرٍ أَوْ هَفَوَاتٍ أَوْ تَجَاوُزَاتٍ، وَهِيَ صِفَاتٌ لَازِمَةٌ لِكُلِّ عَمَلٍ بَشَرِيٍّ غَيْرَ مُنَزَّهٍ عَنِ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي بِحَالٍ عَدَمَ الرَّغْبَةِ فِي الإِصْلَاحِ أَوِ الْمُطَالَبَةِ بِمُعَالَجَةِ أَوْجُهِ الْقَصُورِ". أما الخيار الفاسد، فهو ما يقوم به الآخر (الجمهور المتظاهر) المعتمد على مقولات مجهولة في الأنترنيت، التي أججت عواطفه، وجُعِلَ منها صِنْواً لدعواهُ، حيث تصغرُ أمام واقع المنجزات. غير أن بتر الحديث المستشهد به "تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" لتتمة فحوى دعواهُ الأولى، أسقطه في حبل سفسطة التراثي[49]. باستخدام حديث نبوي يختلف سياقا وزمانا وحدثا عما هو عليه. فحمل سياقه إلى حَجة الوداع، يُحتّمُ وضع نص الخطاب في ميزان القابلية، لكن وروده هنا لم يكن بطَمَعِ الغرض الأول.

جميع الاستشهادات وعلى غزارتها التي قدمت في الخطبة، تتوسد الاقتناع والإسكات خُفْيَةً، تركن إلى الإذعان والتسليم والطواعية والانصياع لخطاب ملوَك، بناء على السلطة والقوة التي تشكلها ثقافاتها المطلقة الثابتة، المرتبطة بالكتاب والسنة، وأقوال مرقونة، مهيمنا عليها البعد النقلي على البعد العقلي، والتي لا تزحزحها معرفة. وبذلك أضحت الخطبة صفة لخطابين متماهيين: يجمعان بين خطاب "المخيل/كاتبا وخطيبا"، وبين خطاب النصوص السلطوية، ليشكلا عند الجمهور خطابا واحدا ووحيدا.

لقد انتبه الأمن الديني بوجود فراغ تأطيري للحراك، سبيلا لسد الفجوة التي تركها الأمن السياسي، فانبرى خطاب الفتنة للمراوغة والتسليم والمصادرة. ذلك ما حاولت تجسيده الوحدات الخطابية الرابعة، والخامسة والسادسة.

المصادرة بأسلوب النص، وبسلطة النص[50] من أبرز الانزلاقات الخطابية الحاملة للوحدات الخطابية السالفة الذكر، من خلال اعتماد حيلة تضمينية مغالطية، تستثمر تلقي النص القرآني "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا" في تذعين الجمهور المحتج، والمعبر عن مطالبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واعتبار أن ما يقوم به هؤلاء إنما هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة، موظفا صيغة النهي الإلهية المعبر عنها في مضمون الآية، للتعبير عن نهيه وتسويغه للموقف الاحتجاجي المرفوض، داعيا إياه للصبر "وَلِأَنَّ التَوَاصِي بِالْحَقِّ لَا بُدَّ أَنْ يُصَاحِبَهُ التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ".

جلاءُ المغالطة وعينها تكمن في اللعب على الأسلوب القرآني الواضح لِلْتِمَاسِ خطاب السلطة، معتمدا على مراوغة أسلوبية، مبتدأها آية سورة البقرة "وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"، ومنتهاها آية سورة العصر "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"، إذن ليس ثمة ما يربط بين هذا القول وذاك سوى هذا المقوّمُ الأسلوبي، الجمالي، الزخرفي، المنمق. أما عن مصطلح "الفتنة" الحاضن لهما فهو مصطلح ديني مُسَرْبَلٌ بالولاء السياسي أكثر من أنه واقع مصورٌ، نتج عنه تخريب، وتعطيل، ونهب، وإغلاق، وتفريق، وضياع، "إِنَّ الفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا الْعُلَمَاءُ، فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْعَامَّةُ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَالْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَلَا غِنَى لِلْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ عَنْهُمْ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَالشِّدَةِ وَالرَّخَاءِ، فَاللهُ أَمَرَ بِسُؤَالِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:" فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمِ لَا تَعْلَمُونَ". قَالَ سَهْلٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ:" لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالْعُلَمَاءَ، فَإِنْ عَظَّمُوا هَذَيْنِ أَصْلَحَ اللهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ".

استمرار قدسيات السُّلَطِ المستشهد بها، يزيد من تأكيد، وحمل الخطاب انزلاقات نحو المغالطة استهواء، وتقويلا، مستنجدا بأكثر من مغالطة في الموقف الواحد، بحسب حاجات الخطاب وإمكاناته، التي تزكي استصغار الجمهور، وتنمي من فعل الولاء السلطوي القُدسي. لعل ذلك ما كرسه التضمين الخطابي للرأي المقلد/ المقدس، في سياق خطابي متنازع اجتماعيا، مما يضعنا أمام حيرة التساؤل: ما سبب ربط خطاب الفتنة بالعلماء والسلطان...؟

وحيثُ إنَّ اللُّغَةَ كما يقول شاييم بيرلمان "ليست وسيلة للتواصل فحسب، وإنما أيضا أداة للتأثير على النفوس ووسيلة من وسائل الإقناع. وهي ليست كافية كذلك من أجل تبيان تأثير الحجاج على التصفح السهل للأفكار"[51] فإن المُخَيِّل أخذ أيضا بالجانب العملي المتمثل في الأساليب اللغوية التي زادت من تأكيد دعواه، يتعلق الأمر بتكرار أدوات التوكيد المستلزمة للإقرار والوُجوب "إن أي نعمة... ألا وإن من أعظم النعم...وإن من كفران النعم... إن هذه النعم... لا بد أن نسلك... لا بد أن ننطلق... إن الله قد نهانا... كل مطلب لا بد أن يكون... ولأن التواصي لا بد أن... مطالب بأن... إن الفتنة إذا... إن الإسلام جاء..." وكلها مغالطة اعتمدت القوة، غايتها توجيه أو إعادة توجيه الأشكال الاحتجاجية للجمهور، ومبعدا الشك والاحتمال والنسبية عن قوله هذا.

وتتداخل هذه الغايات أيضا مع الغايات التوجيهية الأخرى التي حملتها حروف الردع والاستدراك "كلا ولكن معالجة هذا القصور... بل المؤمن... والدين لا يقبل... والخير لا ينال... ولكن بعد فوات الأوان... ولا غنى للحاكم والمحكوم عنهم... وقد أمر... قد نهانا... "

وفي استهلال الوحدات الخطابية بعبارات النداء " عباد الله، أيها المؤمنون، معشر الصالحين " واتخاذها عنوانا ينادى بها جُموع المصلين بعد الانتهاء من الوحدة الخطابية، وبداية وحدة خطابية جديدة، وقع ودلالة على الأسماع.

ذلك أن التلفظ ب "عباد الله" في سياق حديثه عن النعم، يحمل صبغة التذكير وشد الانتباه، بكونهم عبادا مأمورين بالطاعة، وعليهم واجب الامتثال لأمر الله من جهة، ودعوتهم للتدبر في النعم من جهة ثانية.

وبعد هذا الإرهاب الفكري التخييلي، المعلنِ، تحول الجمهور ومن خلال هذه الخطبة إلى آلات مستلبة العقول، تُدار رحاها بإرهاب مزدوج، رابطة السياسي بالاعتقادي، الأصولي بالسياسي؛ إرهاب توخى المغالطة والإسكات، ذلك أن وبغض النظر عن صحة الاستشهادات المستدل بها في سياق اللحظة الدينية الغابرة، ومحاولة توليد دلالات من الخطاب الديني (الخَفي)، ما يخدم وجهة نظر السياسية (البارزة)، لا يخدم الحوار/الخطاب الذي أُريد له ذلك.

على نفس المنوال، تتحدد فاعلية الخطاب اتجاه أي أزمة حوارية، اجتماعية كانت أو سياسية، بل وحتى دينية، في ضبط النفس والتخلق بآداب الحوار والتواصل الهادف، والأخذ بعين الاعتبار درجات الملفوظات وحدتها في الزيادة من الضغط النفسي والانفعال، حتى لا يكون الخطاب المُعلن قذيفة تناطحِ بدل قذيفة تناصح وتشاور.

وأمام هذا الوضع، وجد خطاب القادة السياسيين نفسه أمام أزمة حوار، انتهت بانهيار خطابي. فبعد التراشق الخطابي بين ممثليْ حزب المعارضة، وحزب الأغلبية في الحكومة حُيال ما يجري في الحسيمة. زاد من افتعال الأزمة الخرجة الإعلامية لممثلة حزب الاتحاد الدستوري "خديجة الرياني" على حسابها في الفايسبوك بتعليق على الشكل الاحتجاجي للحراك، بخطاب كان عنوانه:" إِنَّ الْحَسَنَ الثَّانِي كَانَ صَادِقًا عِنْدَمَا وَصَفَهُمْ بِالْأَوْبَاشْ". موضوع القدف هذا إذن، لا يخدم دائرة الحوار/الخطاب، خصوصا وأن الأمر يطال مسؤولة برلمانية، ونائبة عن الشعب. وبين هذه الانزلاقات الخطابية التي يمكن أن نصطلح عليها بالانزلاقات المؤسساتية، لم يَسْلم الخطاب الجماهيري/الشعبوي هو الآخر من آفة التدليس والخروج عن سياق المطلب الاجتماعي والاقتصادي المرفوع، بيد أن ثقافة الاحتجاج الجماهيرية نفسها في حاجة إلى تأطير خطابي، من كل الشوائب التي بإمكانها أن تخرج بالمطلب الاجتماعي من مقام المُناطَحَة (مع خطاب السلطة) إِلَى مقام المُطَارَحَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ، حيث يكون الحوار العاقل المنضبط سيد الموقف، يعبر عن القصد دون زيادة النزاع أو الاحتماء وراء أطاريح إيديولوجية (سلطوية) تربك كل أشكال التسوية، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار درجات التناقض بين تأطير المطلب، وتأطير فعل الاحتجاج، دون التوسل بخطابات أخرى، كخطابات النصوص السلطوية.

إن الاحتماء بالماضي وتوظيف رموزا لشخصيات أجنبية أو محلية ساهمت في صناعة تاريخ المغرب كعبد الكريم الخطابي، الذي هو شخصية ريفية مغربية تاريخية قاومت الاستعمار وأسست لمفهوم جديد في المواجهات العسكرية، ومحاولة تقديسها مقابل إهانة الرموز الوطنية والدينية، وهو ما يكشف عن التأويل المغلوط للحراك لدى شرائح الجمهور وعن الأفق الضيق لمنتقدي السلطة السياسية في المغرب، والتشويش الحاصل في الخطاب السياسي الذي ينطلق من العام الى الخاص بدون قيود أو حواجز. يجعل كل الشعارات والخطابات ترتمي في حضن المجهول، فضلا عن لَبْسِ الخطاب الجماهيري خطابا دينيا "ناصر الزفزافي" في كل التجمعات البشرية. مؤشرات وانزلاقات مغالطية تُظل الطريق المرسوم. وتجعل الفعل الاحتجاجي مسربل بالتناقض والدغمائية. بين قول المطلب(حقوقيا أو اجتماعيا أو سياسيا) المسطر، وقول الخطاب (ميدانيا أو افتراضيا). بل يُفْترض فيه مراعاة أقطاب المعادلة الأخلاقية التي تجمع بين حرية التعبير وبين مسؤولية التعبير[52]، الناجمة عنه.

ولعل غياب التأطير الفكري والثقافي، عن الحركات الاجتماعية، لم تدع مجالا للقوى الشعبوية بأن تمتطي صهوة الشارع وتقود الحشود، مما جعل وِزْرَ الانزلاقات الخطابية، لا تحتمي بحِماهُ، ويبقى المثقف المفكر حاملا لها، الذي بإمكانه أن يخلص كَبْوَةَ الجمهورِ من عثرات اللسان.

وبالعودة إلى الانزلاقات الخطابية التي حفلت بها خطابات ناصر الزفزافي وعلى كثرتها[53]. إذ وصل الأمر عنده إلى حد إنتاج خطابات إقصائية، واتهامات باطلة زائفة، لا تعتمد النقاش، وإنما يبادر لإطلاق الصفات بكل قسوة وإقصائية، حيث كَثُرَت خطابات "الزنديق، الخبيث، الخسيس، الديكتاتوري، البيدق، الجبان، العياشي"[54] غير آبه بما يُقال. نكتفي بحدث خطابي لوقعه على الأحداث السياسية للحراك بصفة عامة، ولدرجة ارتماءه في الخطاب الديني تأسيا بالخطاب المؤسساتي (خطبة 26 ماي 2017). يتعلق الأمر بحدث صرخة ناصر الزفزافي في المسجد بعد مقاطعته للخطيب من على المنبر[55]. وبغض النظر عن جواز الأمر من وجهة نظر دينية من عدمها بمقاطعة الخطيب، وكيفما كانت طبيعة الموضوع المتداول، فإن أمر التدليس والتضليل والمغالطة أقام صرح التحليل.

يصبح الخطاب أكثر عرضة للمغالطات، وحملا للشبهات والتضليل، عندما يكون مرتجلا، وذلك لحمل مضمونه العَرَضِية في تسلسل المضامين، بغير رابط منطقي أو التوسل بمقدمات تفترض في الحجج الاستدلال المنطقي وتقيمها بناء على لاحقها وسابقها. وبهذا يمكن النظر إلى خطاب مقاطعة ناصر الزفزافي لإمام المسجد على أنه عين المغالطة، بالنظر إلى خاصية الارتجالية فيه، وحجم التدليس، والتقويل، والتشهير الذي احتواه. فلم تكن المغالطة عنده لفظا أو معنى خطابيا فحسب، وإنما تدخَّلت فيها جوانب تقنية تمثلت عنده في الاستعانة بالصراخ الحاد، والحركات الجسدية، والنبرات الصوتية الانفعالية، شبيهةً بميلودراما (داعشية)، جراء التباس الخطاب الديني بأقواله ونبراته الصوتية المؤججة، على طول المدة الزمنية التي التقطته فيها كاميرا الهاتف النقال من داخل المسجد. الشيء الذي زاد من تأثير وتأجيج الحشود الملتحمين حوله، بالصراخ والشعارات، والتكبير والتهليل، والحولقة، والاستعانة بمعاجم دينية للاستغاثة.

يلعب التأويل دورا أساسيا في إيجاد المعاني المرتبطة بالقياس المغالطي، الذي يبنى على طرح الأسئلة "ما دامت مقاصد السائلين ليست كلها سليمة ومبنية على حسن النية، فقد يتخذ بعضهم طريقة دمج الأسئلة بعضها في بعض مسلكا لتمرير مواقف معينة أو تلبيسها أمورا صادرة عن نية سيئة أو عن جهل بما يقتضيه الموقف"[56] أو عن انفعال مشحونٍ لا يأبه بدرجات الخطاب المتلفظ به، وهذا التأويل يُكشفُ من القصدية التي يروم إليها السائل، أكان سائلا بغرض البحث عن الجواب، أم سائلا بهدف التضليل والكذب، كما هو حال الأسئلة التي عمّرت ركن خطاب الزفزافي هذا.

لا تساءل الأسئلة المطروحة الواقع السياسي أو الاجتماعي كما هو مخطط له في المطالب؛ خصوصيتها لا تبنى إلا في سياق الإعنات والمجادلة الخطابيين، تسأل وتقفز إلى الإجابة، ملبسة كل الإجابات صبغة الديني "... إِذَنْ هَلْ المَسَاجِدُ للهِ أَمْ لِلْمَخْزَنْ؟(...) الْفِتْنَة...! الْفِتْنَة...! مَا مَعْنَى الْفِتْنَة؟ (...) أَيُّ فِتْنَةٍ مَوَازِينْ بِمَلَابِسَ عَارِيَةٍ بِأَجْسَادٍ عَارِيَةٍ عَلَى قَنَوَاتِ الدَّوْلَة تَحْسِبُ نَفْسَهَا دَوْلَةُ مُسْلِمَة؟ (...) عْلَاشْ(بمعنى لماذا) لأَنَّ الْمُخابَرَاتْ اتَّفْقُوا اليَوْمْ كُلْهُمْ بَاشْ (بمعنى لكي) حِيتْ اللهْ سُبْحَانَهْ وَتَعَالَى جَعَلَ مِنْ الجِرَاكِ الشَّعْبِي عَظِيماً مُقَدّسًا. لِمَاذَا ؟ لِأَنَّنَا نُطَالِبْ بِأَبْسَطِ حُقُوقِ الْعَيْشِ الْكَرِيمْ. فَيَأْتِينَا دَجَّالُ كَمَا قَالَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةٍ مُضِلِّينَ"(...)عْرَفْتُوا آشْ دَارْ هَذَا (بمعنى أعلمتم ماذا فعل هذا ؟) أَوَّلًا لِلْفَتْوَى شُرُوطْ كَانَ يَتَفِقُ مَعَ الْمَخْزَنْ لِاغْتِصَابِ نِسَاءِنَا وَمُحَاصَرَةِ شَبَابِنَا مِنْ أَجْلِ اعْتِقَالِهِمْ بِاسْمِ الدِّينِ وَالدِّينُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ. فَالدِّينُ أَتَى مِنْ أَجْلِ مُحَارَبَةِ الْفَسَادِ وَالطُّغْيَانِ، وَنحْنُ عَلَى عَهْدِ أَجْدَادِنَا...". لقد جاءت كل الأسئلة في سياق استهزائي مغالطي، لِتُحَقق ضاغطا أسلوبيا في تحقيق دلالة السخرية. فأداة الاستفهام (هل) في السؤال الأول أتت لتقرير المستفهم منه (الفتنة)، فخرجت من الدلالة العرفية على الاستفهام إلى دلالة مرتبطة بالسياق وهي الاستهزاء من المشار إليه، (الفتنة) في قنوات الدولة كما صورها الخطاب،

بناء على حمل المقصود من وعاء الخطبة إلى وعاء الاسقاط. ويحمل سؤال "هل المساجد لله أم للمخزن؟" مغالطة الأبيض والأسود[57]، محتملا عدة خيارات غير يقينية:

المساجد لله وللمخزن

المساجد لله وليس للمخزن

المساجد للمخزن وليست لله

المساجد ليست للمخزن وليست لله

فالخيار غير اليقيني الذي يسعى إليه المُخاطِب يتمثل في إبعاد فعل الدين عن السياسة، لكنه لا يقيم حدودا للمقام الخطابي الموجود فيه.

ومكمن المغالطة أيضا عندما جنح الخطاب إلى الكذب والافتراء والتدليس في قوله:" يريدون من الريف أن يركعوه، يريدون من الريف أن تأتي بطاريق الخليج وتغتصب نساءنا(...)والله ثم بالله يا يَتْمَا (باللسان الأمازيغي تعني إخوتي) لولا غيرتنا على كرامة المنطقة، ولولا حرصنا على عرض نساءنا لما توجدنا اليوم لفضح هؤلاء.(...)عْرَفْتُوا شْنُو دَارْ هَذَا، أولا للفتوى شروط، كان يتفق مع المخزن لاغتصاب نساءنا ومحاصرة شبابنا من أجل اعتقالهم باسم الدين...". لم يسلمِ الخطاب من آفة التدليس والكذب، بل قَفَّى على أثره بالمغالطة بالإيمان الكاذبة، وأداة الشرط "لولا"، لحمل فحواه المزعومة دلالة التوكيد والتأكيد. وكلها دُمَّلٌ خطابية[58] تحاول أن تدفع الخطاب إلى أقصى درجات العنف، متجاوزة العنف اللفظي إلى العنف الجسدي، باشتراكها مع الاستجابات المولدة للحشود المتخندقة حوله، وتكبيراتهم وتهليلاتهم جرّاءَ سمعهم دَوِيَّ طلقاتها الأولى.

يأتي رد الادعاء من ناصر الزفزافي على مقاطعة خطيب الجمعة، بناء على هيمنة الفكر المقدس عنده، باعتماد استراتيجيات جمة، جامعا إياها في قول خطابي واحد، يجمع بين التغليط باللفظ، والتغليط بالمعنى، والتغليط بطرق التدليل، باديا إياه في ملاسنةٍ بينه وبين أحد معارضيه من المصلين، بعد محاولة التدخل لثنيه عن فعله، ومنهيا بنفس التكنيك الخطابي. ومما جاء على لسانه:" ...أَعْلَمُ، مَا تعْلَمُ وَأَعْلَمُ مِنْكَ، أَعْلَمُ مِنْكَ، أَعْلَمُ مِنْكَ. أَقُولُ لَكَ مَا قَالَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مِنِي اعْوِجَاجًا فَقَوِّمُونِي. هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَمَا بَالُكَ بِشَخْصٍ كَهَذَا...؟ (في إشارة إلى خطيب الجمعة) (...)هَا هُمْ هَا هُمْ الإِخْوَة عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ تَخْشَى مِنْهُ الشَّيَاطِينْ. وْكَانْ تَيْقُولْ إِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي اعْوِجَاجًا فَقَوِّمُونِي، وَالآنْ سِرْنَا عَلَى نَهْجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينْ، رَأَيْنَا مِنْهُ اعْوِجَاجًا.." فبعد الاعتماد على العناد، القائم على الحكمة والعلم والاستعلاء الخطابي. زكاه بالاعتماد على الاستقراء البلاغي[59] الفاسد بفعل اشتراك اللفظ المؤلف بين الخِطابين في فعل "فقوموني" فقط لأن عمر بن الخطاب تلفظ به، ولذلك جرى تحويره لفظا، وتم إسقاطه معنا وقولا لردع الخطيب على خطبته هاته، فكان الاستقراء البلاغي عنده جسرا ربط به جزء الخطاب، بفعل الخطاب المغالطي، مما أنتج عنه إيهام وتدليس للحشود الملتفين حوله.

صفوة القول، يُبرز الخطاب عموما هشاشة في المسار الخطابي جراء التحامل على موضوع خطبة الفتنة، بوجه ديني ملتبس، منتقلا من مغالطة إلى أخرى، مستغلا الفضاء والاحتشاد البلاغيين (المسجد وحشود المصلين) الموجود فيهما، لتمرير ما بدا له حصنا حصينا لهم، فتحاور وموّه ودلّس، وأركب الخطاب على الخطاب دون الأخذ بعين الاعتبار قدسية الفضاء البلاغي وحرمته، بل وحتى الوعي بالاستقراءات البلاغية التي أسقطها على ادعاءاته، مما جعل خطابه بالإضافة إلى خطابات الحشود وتهليلاتهم وتكبيراتهم الملتفة حوله، ألغاما خطابية تسبح في أقصى درجات العشوائية، ناتجة عن تثوير وتهييج خطاب انفعالي مدسوس.

3.1 سلطة الإعلام: من حَركة بلا زعيم إلى حِراك بالزعيم

لا تختلف صراعات الحركة كثيرا عن صراعات الحِراك إلا بمنسوب استخدام وسائل الإعلام الجديدة فيهما، فلا يمكن إنكار حضور أدوار سلطة الإعلام الجديدة new media بأشكالها المختلفة في بلورة أنماط الاحتجاجات وتعبئتها، وزيادة الوعي الجماهيري بحجم المطالب المطروحة، وجدوى تحقيق الإصلاحات المرجوة منها. حيث تكسرت معها أحد أجنحة احتكار الخطاب السياسي، وبدت الجماهير الشعبية بدون منازع سيدة ميدانها، وتشكلت على يديها "مصانع ثقافية"[60] جديدة، اعتبرت سلاحا للمستضعفين والمقهورين والمضطهدين اجتماعيا، لم ينفع معها سرديات الإعلام الكلاسيكية الموجه لخطاب السلطة أية حيلة.

ومهما كان عُمْقُ السلطة الإعلامية المعتمدة في تأجيج سِلاح المطالب، والشعارات التي حملتهما كلا النموذجين، مكثفين من قيم الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة، وبغض النظر عن حجم المواضيع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، التي صدحت بها حناجر الجماهير المتظاهرين تعبيرا عن تراتيل متناصة في فضاءات بلاغية مختلفة. فإن عُمق السلطة الإعلامية المُمارس على الزعيم "القائد" للحراك لَأكبر صراعٍ إعلامي اختلف فيه الوجه السياسي الجديد عن الوجه السياسي القديم.

تختلف حِدّة الزعامة السياسية للحركة والحراك من وجهة نظر إقليمية ووطنية مؤججة للفعل الاحتجاجي. الأولى أنيطت مَهَمة الزعامة لمجموعات شبابية غير مشخصنة، لم يرتبط اسمها بقائد محدد الاسم، متفاعلة مع هجرة أنساق التفكير الاحتجاجي لباقي البلدان العربية، أما الثانية فاستطاعت أن تخرج على النسق الاحتجاجي من بوابة إقليمية خَوَّلَ لها هذا التوظيف الجديد. فما الذي جعل من "ناصر الزفزافي" وصيا على جمهور الحراك ووسيطا بين خطابات الجمهور وخِطابات السلطة...؟ أهِيَ مِلْكِية ثقافية فكرية...؟ أم صناعة إعلامية...؟ أم تجاوز للإيديولوجي نحو ربط السابق التاريخي باللاحق...؟ أم أنه تسويق إعلامي مدفوعُ الثمن...؟.

قد تتأسس عن الأسئلة مقاربات سياسية إيديولوجية مضمرة، كما قد يكون لها وجه إعلامي بحكم بروز وسائل ثقافية جديدة صنعت الحدث وساهمت في فرض الرقابة عليه من منطلق جماهيري شخصي، الشيء الذي أدى إلى سقوط النُّخَبِ وبروز الشعبي[61] مؤسسين واجهات إعلامية فيها تصنع وتطبخ الخطابات، وعليها تتم عمليات التفنيد وتعرية خطابات السلطة. وإذا كانت "الأحداث الاجتماعية والسياسية التاريخية القديمة عموما أثبتت أن الحركات المناهضة الكبرى لم تقم إلا على قيادات فكرية وثقافية"[62] حيث الفكر والثقافة مصانعُ الثقافة، فإن وسائل التواصل الحديثة في الحركة كما الحراك، أكدت أن "الوسيلة أخطر من الفكر"[63].

من هذا المنطلق، وكَتَجَلٍّ حر لهذا التوظيف أقامت الخرجات الافتراضية أو الميدانية لناصر الزفزافي، أحد الوجوه التي صنعت ثقافة الاحتجاج الجماهيري اتجاه الحراك، بفعل الخطابات المستحدثة على صفحته في "الفايسبوك واليوتيب". فكانتا هاتين الوسيلتين الحزب البديل الذي صنع بهما الرأي العام، بدءا من الاستقطاب، مرورا بتفكيك خطابات السلطة، وصولا إلى التجمهر. فكان سلاح الشاشات الزرقاء والهواتف الخلوية حالات راهنة لكل المستجدات السياسية في كل ظرف سياسي يخص الحراك، يتجاوب معها أو يبني معطيات جديدة تخصها، ويتفاعل مع القراءات السياسية للمنطقة. في الفضاء الإلكتروني كما في فضاء تجمهر المتظاهرين. مما زاد من تثوير حشود جديدة، تقيم شعارات جديدة ممجدة، تتغنى به وتتوعد كل مساسٍ به. مترنحة بين المطالب الاجتماعية إلى المطالب المُشَخْصَنَةِ، لأنه يمثل بالنسبة إليهم حِصنا من خطابات السلطة.

لقد طرحت إذن هذه الخرجات الإعلامية روحا جديدة للزعامة والقيادة السياسية، تولدت عنها تأسيس قاعدة جماهيرية ملتفة حوله، تمثل له دروعا واقية، وجيوشا معنوية لتزيد من موقعه النضالي. يبرز ذلك من خلال

حصانة الخطابات التي تتبعته في فضاءات الساحات العامة أو في التعاليق الاستحسانية في خطاباته على مقاطعه بموقع "يوتيب". وأصبح على إثرها رقما متوجا له أتباعا "بوصفه ذاتا مطلوبة، ومن حوله ناس تريده وتصفق له"[64]، تثور وتهيج وترفع في وجهه شعارات "المخزن حذاري كلنا الزفزافي...".

لم تعد الزعامة السياسية مع اكتساح "الوحش الإعلامي"[65] الفضاءات الخاصة والعامة أنماط التواصل الإنساني، كسابق العهد السياسي الذي أوكل إلى المفكر والزعيم السياسي للحركات، حيث الفكر والأدب هي التي تحرك هِمَمَ المثقفين، والقادة السياسيين، وتبني انتماءاتهم إلى هذا أو ذاك. بل إن تغير هذا النسق الثقافي الجديد أدى إلى بروز قادة، تصنعهم الوسيلة الجديدة. يقول عبد الله الغذامي:" إن شدة التغيير في الوسيلة لا بد أن يتبعها شدة مماثلة في تغيير الرسالة نفسها وفي تغيير شروط الاستقبال. ومن هنا يأتي التغيير الثقافي بتحوله من الخطاب الأدبي إلى خطاب الصورة ومن ثقافة النص إلى ثقافة الصورة. وهو تغير ستتغير معه قوى التأثير الاجتماعية وسيتغير قادة الفكر تبعا لذلك، ولن يعود الفلاسفة والأدباء والعلماء هم قادة الثقافة الجماهيرية"[66]، وتصبح الثقافة "البصرية" محركة الجماهير بغض النظر عن تغير مضمون الخطابات بتغير الحاملات الخطابية.

وانطلاقا من هذه الثنائيات الجديدة المفارقة، سيتبدد مفهوم النخب الثقافية وتضمحل، بإعادة خلق وازعٍ ثقافي آخر يتوزع على أفراد يصنعون نجوميتهم، أو بالأحرى زعامتهم من عند أنفسهم وبفعل التحام "الرهطوية"[67] من حولهم. واقع ثقافي واجتماعي مُفَبْرَكُ الصنعة، يشير إلى تهاوٍ لكل ما هو مؤسساتي، وسطوعٍ لنجم الشعبوية. يضيف عبد الله الغدامي لهذا الغرض رأيا يقول فيه:" غير أن الواقع الثقافي والاجتماعي اليوم يشير بوضوح إلى تغيير ضخم باتجاه ما هو شعبي وما هو هامشي في السابق ويشير في الوقت ذاته إلى انصراف خطير عن كل ما هو مؤسساتي وخاصة ما كنا نسميه سابقا بالأدب"[68].

إن انصراف الخطابات الجديدة نحو "مجازية الشاشة"[69] هي التي أفضت بخلق زعماء وقادة جدد يتسيدون المواقع سياسيا أو ترفيها أو فنيا، تحتويهم سُيُوف التعاليق المتابعة لصفحاتهم على المصانع الثقافية الجديدة "فايسبوك، تويتر، يوتيب..." أو بدرجات التصفح لخطاباتهم على موقع اليوتيب، فيبرز النجم وتعلو سِهامه بعدد متتبعيه، أو المتفاعلين معه استحسانا أو استقباحا. وتهوي درجاته بعكس المعادلة الخطابية.

وبالعودة إلى زعامة الحراك، وقياسا على تجاور كل هذه التقنيات الثقافية إلى أحد أركان العمليات التخاطبية "الإيتوس" في زيادة شعبية زعيم الحراك، فإن عناصر التفرد الخطابية وبقدرته على نقل الأحداث باللسانين العربي والأمازيغي، وانفعالاته الميدانية كما الافتراضية، أكسبته درجات من التأييد الجماهيري وبروز شعبيته الخطابية عند عموم المتظاهرين.

خلاصة

بعد مقاربتنا للفعل الاحتجاجي لجمهور حراك الحسيمة، ولبعض أشكالهم الخطابية، وما اعتراهما من انزلاقات تبين لنا مايلي:

يعتبر مَهْدُ انطلاق حراك الحسيمة بأشكاله الخطابية المختلفة أحد رموز هجرة أنساق ثقافة الاحتجاج التي خلفها إرثُ حركة 20 فبراير، وباقي الحركات الاحتجاجية بالعالم العربي في ما عرف عنه بالربيع العربي.

لا تحمل المواجهة التي يقابل بها الخطاب الديني بالخطاب السياسي، والسعي نحو بناء موقف ديني يركن إلى الخطاب المدنس أية صفة تُلزمه العقلانية، وإنما هي استراتيجيات وتكتيك خطابي يتوخى المناورة والتضليل والمغالطة.

تعدد وجوه الانزلاقات الخطابية بالحراك المؤسساتية منها والشعبية، وبأصنافها المختلفة، تفضي إلى زيادة العنف وتأجيج الصراعات والحروب الكلامية.

شَخْصَنَةُ الحراك وتوليد زعامة سياسية له تعلو المنابر الإعلامية والساحات الميدانية ثائرة في وجه خطابات السلطة، ومتحدثة باسمها، صناعة إعلامية جماهيرية على وسائل التواصل الحديثة بفضل تنامي التعاليق الاستحسانية المتابعة له، وللشعارات التي حفلت بها ساحات الميادين.

اتخاذ الجماهير لنفسها أشكالا خطابية لإزالة الرهبة الاجتماعية، تواصل إنساني محاجج، قد يعتريه الإقناع كما يعتريه التضليل والتغليط، ومجابهتها بخطابات عنيفة مضادة لا يولد إلا صراعا خطابيا يفضي به إلى أقصى درجات العنف.

إن إعادة إحياء النموذج الخطابي بمختلف مكوناته وبنفس الأساليب، يضع الخطاب/ الحوار السياسي في مأزق العنف المتكرر والمتواصل، كلما حلّت واقعة اجتماعية جديدة.

يعتبر الارتماء في حُضن الشعبوية، من أهم الاستنتاجات التي تمخضت عنها " الحركة والحراك "، مساهمة فيها سلطة الإعلام الجديدة بقنواته المختلفة في تأجيج الصراع بين الخطاب الجماهيري، والخطاب السلطوي، مما يضع مرتاد هذا النمط التواصلي الجديد أمام كم هائل من الخطابات تضمر أكثر مما تفصح، وهو سلاح خطابي له من الخطورة ما يكفي لإبادة أمة.

ملحق

خطبة 26 ماي 2017 " مديرية الأوقاف والشؤون الإسلامية "

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله العلي القدير، الجواد الكريم، المستحق لكل حمد وثناء وتعظيم، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، شهادة تهدي المؤمن بها إلى كل خير وصلاح، وتعصمه من الوقوع في كل شر وزلل، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، نبي الهداية والرحمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، وكل من تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المؤمنون، إن أي نعمة يسعد بها الإنسان فالله تعالى هو المنعم بها، يقول ربنا عز وجل:"وما بكم من نعمة فمن الله "، ألا وإن من أعظم نعم الله على الإنسان، نعمة الأمن والاطمئنان على النفس والعرض والمال، هذه النعمة المستوجبة لحمد الله وشكره عليها، بما يضمن دوامها، ويحقق مزيدها وتواصلها، مصداقا لقوله تعالى:" لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد "

وإن من كُفران النعم جحودها، ومن شكرها ذكرها وشهودها:" وأما بنعمة ربك فحدث " فنعمة الإسلام، الدين الذي ندين به، أعظم نعمة على الإطلاق، ومن نعم الله علينا كذلك، الأمن الذي نتفيأ ظلاله، وننعم بحسنه ونواله، نأمن على ديننا، وعلى أموالنا، وعلى محارمنا، وفي طرقاتنا، وبيوتنا ومساجدنا، نقطع بلادنا طولها وعرضها في أسفارنا آمنين على أنفسنا، في حين أننا نرى بعض الأقطار في حال لا تسر قلب مسلم من انقلاب الأمن وضياعه.

عباد الله، إن هذه النعم التي تنعم بها بلادنا، لا تعني بحال عدم وجود تقصير أو هفوات أو تجاوزات، وهي صفات لازمة لكل عمل بشري غير منزه عن الخطأ والنسيان، وهذا لا يعني بحال عدم الرغبة في الإصلاح أو المطالبة بمعالجة أوجه القصور، كلا، ولكن معالجة هذا القصور لا بد أن نسلك فيها المنهج الشرعي، لا بد أن ننطلق من شرعنا، وكتاب ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، التي علمتنا أدق الأمور في حياتنا، كما بينت لنا كيفية رفع المظالم وإصلاح الأخطاء وتوجيه الأمة، والمؤمن المتعلق بربه ليس منطلقه دعوات مجهولة في الأنترنيت، أو تأجيجا في فضائيات تنفخ القضايا، أو عواطف وحماسات تفتح عيونها كبارا على الأخطاء، وتصغر عيونها وتضيق في رؤية النعم والمنجزات والمكتسبات، بل المؤمن ينطلق من الكتاب والسنة، وصية نبيه عليه الصلاة والسلام الذي قال في حَجَّةِ الوداع " تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه "

أيها المؤمنون، إن الله قد نهانا عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، والتهلكة تترتب عن كل أمر لا يكون معه ورع وفهم حساب للنتائج والعواقب، فكل مطلب، لابد أن يكون بما يناسب حق التعبير والتشخيص، ولأن التواصي بالحق لا بد أن يصاحبه التواصي بالصبر، لأن ديننا والحمد لله دين حقوق وواجبات، ودين نظام ومسؤوليات، والمؤمن العاقل مسؤول عن كل تصرف فردي أو جماعي، ومطالب بأن يعرف من يعمل للفتنة حتى يتجنبها، فلا شيء إذن في الدين يبرر أو يسمح بتخريب الممتلكات، ونهب الأموال، وتعطيل مصالح الناس، وإغلاق الطرقات، وتفريق الكلمة، وضياع البلاد في نهاية المطاف، والدين لا يقبل التطرف في أي قول أو عمل، والخير لا ينال بالشر كيفما كانت درجته.

والتحريض على العصيان والاضطرابات، بالكذب والتدليس والبهتان، وتسخير وسائل الإعلام لأغراض غير نبيلة وأهداف غير شريفة، أمر منهي عنه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" يكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها "، كما يجب التحقق من الأخبار وصحتها قبل الانسياق وراءها مصداقا لقوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"

معشر الصالحين، إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العلماء، فإذا أدبرت عرفها العامة، ولكن بعد فوات الأوان، والعلماء هم ورثة الأنبياء، ولا غنى للحاكم والمحكوم عنهم في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فالله أمر بسؤالهم في

جميع الأحوال، فقال سبحانه:" فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ". قال سهل بن عبد الله:" لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ". وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالتعوذ من الفتن قبل ظهورها وعند نزولها، فقال:" تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن".

فاللهم أدم علينا نعمة الهداية بالإسلام والإيمان، ونعمة الأمن والاطمئنان والاستقرار، وألهمنا مزيدا من القوة والصبر واليقين، وكسر شوكة كل خوان أثيم، وأدحر كل من تسول له نفسه المساس بحرمة هذا البلد المسلم الآمن، إنك سميع قريب مجيب، وأنت نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي المؤمنين، وناصر عباده الصالحين، يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد أيها المسلمون، إن الإسلام جاء لدرء كل مفسدة عن الأفراد والشعوب، ليبقى الجميع يدا واحدة متلاحمة مطمئنة، بعيدا عن النعرات والفرقة والاختلاف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. قال تعالى:" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم" الآية، وفي آية أخرى:" ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات "، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " يد الله مع الجماعة "

أيها المؤمنون، من كرم الله ومنه وفضله على هذه الأمة المغربية المسلمة، أن قيض لها إماما قوي الإيمان بربه، شديد التمسك بكتابه وسنة نبيه، محبا أشد ما يكون الحب لشعبه، عطوفا على كل ذي حاجة، حياته المثلى وهدفه الأسمى، تحقيق الطمأنينة والهناء، والخير والسعادة والنماء.

فبارك اللهم في عمر مولانا أمير المؤمنين، ووفقه في كل ما هو بصدده من جلائل الأعمال وروائع المنجزات، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، زينة الخلق وخاتم النبيين، كما صليت وسلمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وانصر اللهم من قلدته أمر هذه الامة، مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين، صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصرا عزيزا تعز به الوطن والإسلام والمسلمين، واحفظه في حله وترحاله، واكلأه بعينك التي تنام، آناء الليل وأطراف النهار، وكن له حصنا حصينا، ودرعا واقية من كل شر وسوء ومكروه وألهمه التوفيق والسداد والرشاد، ورد كيد كل من يتربص الدوائر بكيان هذه الأمة ووحدتها واستقرارها.

اللهم أقر عين جلالته بشقيقه صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، واحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة.

وأمطر شآبيب رحمتك وعفوك ورضوانك على الملكين المجاهدين، مولانا محمد الخامس ومولانا الحسن الثاني، وطيب اللهم ثراهما وأسكنهما فسيح جنانك، وبوأهما مقعد صدق عندك، إنك ولي المؤمنين ولا تضيع أجر المحسنين

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ووفقهم لما فيه خيرهم وصلاحهم، وأبق بلدنا آمنا مطمئنا يا رب العالمين.

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

1. أحمد خليل (خليل)، سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1، (2005)
2. الباهي (حسان)، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، الطبعة الثانية2013
3. بلبع (عيد) « المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد، تأصيل منهجي » مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، العدد الخامس، أبريل 2017.
4. البهلول (عبد الله)، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، د ط، ط1،(2013)
5. التليدي (بلال)، الزلزال السياسي دينامية السياسة قبل وبعد السابع من أكتوبر، عقول الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء ط1، (2018)
6. الدغرني (أحمد)، حراك الريف: التأصيل والامتداد، أنفوبرانت الرباط ط1، (2018).
7. الراضي (رشيد)، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة الأردن، ط1، (2010)
8. سيمينو (إيلينا)، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، المركز القومي للترجمة القاهرة ط1، (2013)
9. شحرور (محمد)، الإسلام والإيمان منظومة القيم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق الطبعة 1 (1996)
   - الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية، دار الساقي بيروت لبنان ط1،(2016)
10. ضريف (محمد) « التحول الديمقراطي في المغرب: مسار بناء الملكية الإصلاحية » ضمن كتاب الربيع العربي الانتفاضة والثورة والإصلاح، ترجمة لطفي زكراوي، تحرير محمد الصواني، ريكاردو رينيه لاريمونت، منتدى المعارف بيروت لبنان ط1،(2013)
11. عبد الخالق (غسان اسماعيل) « بلاغة الشارع ومعجم ألفاظ الربيع العربي » ضمن كتاب البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي عناصر التشكل ووظائف التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1،(2017)
12. عبد الرحمن (طه)، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط2،(2006)
1. عتيق(عمر) « ثورات الربيع العربي في صورة الكاريكاتير، دراسة سيميائية » ضمن كتاب البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي عناصر التشكل ووظائف التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1،(2017)
13. عماد (عبد اللطيف لماذا يصفق المصريون ؟ دار العين للنشر القاهرة مصر، ط1،(2009)
14. العمري (محمد)، تحليل الخطاب الأصولي، عوائق الحوار قراءة حجاجية في خطاب الأصوليين المغاربة مساهمة في تخليق الخطاب السياسي، فالية للطباعة والنشر والتوزيع بني ملال، ط1،(2015)
   - دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، أفريقيا الشرق الدار البيضاء (2002)
   - في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، ط2،(2002)
15. لوبون (غوستاف)، سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي بيروت لبنان ط7،(2016)
16. محمد الغذامي (عبد الله)، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2،(2005)

- الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، د ط ، الطبعة الثانية 1991
- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ط3،(2005)
- ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعبير، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1،(2016)

17. مشبال (محمد)، البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين للنشر، القاهرة،ط1،(2010)

1. Buffon (BerTrand) « Perlman et la relégtimation du politique » pour Perlman le renouveau de la rhétorique coordonné par Michel Mayer, presses universitaire de France 2004
2. Perelman (Chaïm) et Olbrechts-tyteca (Lucie) ; Traite de L'argumentation la nouvelle rhétorique preface de Michel Meyer ; Editions de l'université de bruxelles 5e Edition
3. Plantin (Christian), Essai sur l'argumentation, introduction à l'étude linguistique de la parole argumentatifs, Edition Kime 1990

-المواقع الإلكترونية

https://ar.wikipedia.org
https://www.youtube.com/watch?v=_THBhbaMEtE
https://www.youtube.com/watch?v=4IDvPAzwEaw&t=44s
https://www.youtube.com/watch?v=HiCG2Ra_b4Y
https://www.youtube.com/watch?v=HIJTPw0VJVI
https://www.youtube.com/watch?v=JxPtttaMA4k
https://www.youtube.com/watch?v=OO_rC_1R77g
https://www.youtube.com/watch?v=ooPiFQ31GWQ
https://www.youtube.com/watch?v=pcOQFdBKoyE
https://www.youtube.com/watch?v=SDLKMuQAPCo&t=49s
https://www.youtube.com/watch?v=VnY5LnHJL9E&t=17s

الهوامش:

[1]- الدراسة جزء من رسالة تقدمنا بها لنيل ديبلوم الدراسات العليا المعمقة ضمن ماستر البلاغة وتحليل الخطاب، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال المغرب، برسم الموسم الجامعي 2018/2017 تحت إشراف د. إدريس جبري.

[2]- حركة 20 فبراير تأسست بتاريخ 20 فبراير 2011 من ثلاث مجموعات شبابية وهي: «حرية وديموقراطية الآن» و«الشعب يريد التغيير» و«من أجل الكرامة، الانتفاضة هي الحل» سعت الحركة في نشأتها الأولى – حسب تصورها – إلى المطالبة بالتغيير والإصلاح هدفها العيش في مغرب حر ديمقراطي، واستعادة كرامة الشعب المغربي. وتؤكد بالمقابل استقلاليتها عن الأحزاب السياسية واستفرادها بالمطالب والقرارات المتخذة، وتعتبر نفسها امتدادا طبيعيا للاحتجاجات بالمغرب. ينظر: محمد ضريف « التحول الديمقراطي في المغرب: مسار بناء الملكية الإصلاحية » ص196/199

[3]- للاطلاع على التأطير التاريخي والسياسي لحراك الحسيمة يمكن الرجوع إلى الكتب الآتية: أحمد الدغرني، حراك الريف: التأصيل والامتداد، أنفوبرانت الرباط الطبعة الأولى 2018. بلال التليدي، الزلزال السياسي دينامية السياسة قبل وبعد السابع من أكتوبر، عقول الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء الطبعة الأولى 2018.

[4]- غسان اسماعيل عبد الخالق "بلاغة الشارع ومعجم ألفاظ الربيع العرب" ص54

[5]- نص المطالب متاحة على موقع ويكيبيديا تاريخ الدخول 2018/05/27 على الساعة 16:49 https://ar.wikipedia.org

[6]- بلال التليدي: الزلزال السياسي، ص227

[7]- نفسه، ص228

[8]- نفسه، ص235

[9]- نقصد به التراشق الذي وقع بين الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية نبيل بن عبد الله، والأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة إلياس العمري. حيث خرج الأول في برنامج تلفزيوني على قناة ميدي1 "ساعة للإقناع" يصرح فيه بأن "إلياس العمري وحزب الأصالة والمعاصرة جزء من المشكل ولا يمكن أن يكون جزءا من الحل" متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=OO_rC_1R77g ليخرج إلياس العمري بالمقابل في برنامج "ضيف الأولى" ليحمل المسؤولية لم يقع في الحسيمة للحكومة، ويطالب بفتح تحقيق في مشروع "الحسيمة منارة المتوسط" باعتباره المسؤول عن الوضع القائم. متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=ooPiFQ31GWQ تاريخ الدخول 2018/05/27 على الساعة 01:28

[10]- مستمع ترجمة لمصطلح auditoire لمحمد العمري وهو يجمع بين بين صيغة " مجتمع " و صوت " سمع ". مستمعون (auditoires). ويحمل المستمع عنده صفتين: مستمع كوني (auditoire universel)، ومستمع خاص(auditoire particulier)

[11]- محمد شحرور: الإسلام والإيمان منظومة القيم، ص252

[12]- نفسه، ص252

[13]- عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي، ص140

[14]- عمر عتيق "ثورات الربيع العربي في صورة الكاريكاتير، دراسة سيميائية " ض317

[15]- إيلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، ص80

[16]- عبد الله البهلول: الحجاج الجدلي، ص114

[17]- ينظر المحور الثاني: حراك الحسيمة والانزلاقات الخطابية من هذا الفصل.

[18]- متاح على الرابط تاريخ الدخول 2018/05/31 على الساعة22:05 https://www.youtube.com/watch?v=VnY5LnHJL9E&t=17s

[19]- متاح على الرابط تاريخ الدخول 2018/05/31 على الساعة 23:52 https://www.youtube.com/watch?v=JxPtttaMA4k

[20]- محمد مشبال: البلاغة والأدب، ص30

[21]- Christian Plantin: Essai sur l'argumentation, p :15

[22]- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-tyteca : Traite de L'argumentation, p : 112

[23]- عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون ؟ ص30

[24]- نفسه، ص120

[25]- إسقاط العسكرة شعار يستند على ظهير العسكرة بتاريخ نونبر 1958 والقاضي بجعل منطقة الحسيمة وأقاليمها منطقة عسكرية. تمت إزاحة هذا الظهير بموجب ظهير التقسيم الإداري للمغرب سنة1959. أنظر تصريح إدريس اليزمي رئيس المجلس الوطني لحقوق الإنسان بهذا الخصوص في برنامج ضيف الأولى، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=SDLKMuQAPCo&t=49s تاريخ الدخول2018/06/01 على الساعة 03:54

[26]- متاح على الرابط تاريخ الدخول 2018/06/01 على الساعة16:38 https://www.youtube.com/watch?v=4IDvPAzwEaw&t=44s

[27]- غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ص55

[28]- محمد العمري: دائرة الحوار، ص107

[29]- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; Traite de L'argumentation, p : 18

[30]- متاح على الرابط تاريخ الدخول 2018/06/10 على الساعة 02:45 https://www.youtube.com/watch?v=_THBhbaMEtE

[31]- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-tyteca : Traite de L'argumentation, p : 280

[32]- BerTrand Buffon " Perlman et la relégtimation du politique " p : 43

[33]- طه عبد الرحمن: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ص27

[34]- محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف، ص22

[35]- نفسه، ص42

[36]- نفسه، ص71

[37]- محمد العمري: تحليل الخطاب الأصولي، عوائق الحوار، ص39

[38]- محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف، ص107

[39]- خليل أحمد خليل: سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر، ص75

[40]- ليس ثمة ما يدعو لربط الولاء السياسي بالولاء الديني بتعبير محمد شحرور، أو انتحال الولاء السلطوي السياسي للولاء الديني باسم نُصرة الدين، لأن الأمر هو نِتاج فترات سياسية من تاريخ اقتتال المسلمين، حيث تم إخضاع الولاء الديني خدمة لمصالح سياسية سلطوية لا علاقة لها بالدين في شيء. يقول في هذا الصدد:" إن مفهوم الولاء الديني من المفاهيم التي تم تحريفها من قبل المنظومة الدينية التراثية لإضفاء شرعية على الطغيان السياسي الذي كان سائدا في الأمة الإسلامية بمجموعة من المرويات وبآيات من التنزيل تم توظيفها لخدمة المدلول السياسي السلطوي للولاء الديني " محمد شحرور: الدين والسلطة ص404/400

[41]- التحريض على القتل جزء من خطابات " مؤسسة الأزهر بمصر " في شخص رئيسها آنذاك " علي جمعة " مستشهدا على ذلك بما نصه "من أتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه "يمكن الاطلاع على نص الخطاب بزيارة الرابطين الآتيين تاريخ الدخول 2018/06/06 على الساعة 03:50_: الرابط الأول https://www.youtube.com/watch?v=HiCG2Ra_b4Y الرابط الثاني: https://www.youtube.com/watch?v=HIJTPw0VJVI

[42]- انظر المُلحق

[43]- مصطلح استعرناه من عند محمد العمري. والمخيل في الخطبة ها هنا يتأرجح بين ذاتين اثنتين: المخيل، كاتب الخطبة (غائب)، والمخيل الخطيبُ على المنبر (حاضر)، وكلاهما يسعيان إلى صناعة الخطاب استهواء ومغالطة.

[44]- طه عبد الرحمن: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ص35

[45]- رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص32

[46]- نفسه، ص26

[47]- نفسه، ص28

[48]- رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص29

[49]- نفسه، ص40

[50]- عيد بلبع "المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد، تأصيل منهجي" ص25

[51]- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-tyteca : Traite de L'argumentation, p : 177

[52]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعبير، ص80

[53]- أسلوب القدف والسب والشتم طال عنده كل مؤسسات الدولة المغربية، بل تعداه ليطال باقي الأقطار العربية. يمكن الرجوع إلى بعض خطاباته على موقع يوتوب.

[54]- العياشي: خطاب ساخر شاتم ينعت به كل شخص حاول معارضة جمهور الحراك، والوقوف إلى جانب خطابات السلطة، وقد كان سلاحا لفظيا مؤججا حفلت به الساحات الخطابية للحراك. ويأخذ الخطاب لنفسه نسقا ثقافيا من خطاب "البلطجية/البلطجي" حيث اتخذه شباب 25 يناير بمصر لنفس المَهمة الخطابية.

[55]- المشهد من داخل المسجد متاح على الرابط، تاريخ الدخول2018/05/10 على الساعة14:02 https://www.youtube.com/watch?v=pcOQFdBKoyE

[56]- حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص192

[57]- نفسه، ص193

[58]- محمد العمري: تحليل الخطاب الأصولي عوائق الحوار، ص74

[59]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص82

[60]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر، ص64

[61]- نفسه، ص59

[62]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص43

[63]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر، ص101

[64]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر، ص15

[65]- عبد الله محمد الغذامي: الثقافة التلفزيونية، ص47

[66]- نفسه، ص25

[67]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر، ص51

[68]- عبد الله محمد الغذامي: الثقافة التلفزيونية، ص23

[69]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة تويتر، ص68